Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هاشم معروف الحسني

سيرة الأئمة الاثني عشر

القسم الأول

دار التعارف للمطبوعات

Bibliotheca Alexandrina
0016013

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هاشم معروف الحسني

سيرة الأئمة الاثني عشر

القسم الأول

دار التعارف للمطبوعات
بيروت - لبنان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حقوق الطبع محفوظة

١٤١١هـ - ١٩٩٠م

الطبعة السادسة

المكتب : شارع سوريا - بناية دوريش - الطابق الثالث
الادارة والمعرض - حارة حريك - المشية - شارع دكاش - بناية الحسيني
تلفون ٨٣٧٨٥٧
ص. ب ٨٦٠١ - ١١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السيد هاشم معروف الحسني
سيرة نقيّة، وفكر نقيّ...

نقاء سيرته، ونقاء فكره حقيقتان تواكبان اسمه: حياً وميتاً، حاضراً وغائباً...

ولد السيد هاشم معروف الحسني عام ١٩١٩ في قرية جناتا (قضاء صور - لبنان الجنوبي) وفي بيت من بيوت الصلاح والتقوى في جبل عامل، وفي رعاية والده السيد معروف، ذلك الرجل الوقور وقار المؤمن، الوديع وداعة الناس البسطاء، الطيب كطيبة الأرض التي كانت تعطيه من خيرها الوفير بقدر ما يعطيها من جهده الجاهد، وصبره المحتسب، وبركة يديه الخيّرتين.. في ظل هذه المزايا الكريمة لوالده السيد معروف، نشأ السيد هاشم نشأة كريمة اكسبته منذ الفتوّة وقار الرجال، ووداعة المؤمنين، وطيبة الناس الطيّبين كأرضهم جبل عامل.. في ظل هذه المزايا بالذات تمرّس السيد هاشم بأخلاق التواضع والصدق وعفّة اليد واللسان والضمير وببساطة العيش رغم انه عاش فتوّته وشبابه في بيت ميسور الحال موفور النعمة..

ويشهد الذين عايشوه أو عاصروه في النجف الاشرف وهو يطلب علم الدين والشريعة هناك، ان هذه الاخلاق نفسها، وهذه العفة نفسها، وهذه البساطة الطيبة نفسها، ظلت من مميزاته المرموقة التي كانت تكسبه احترام اساتذته وزملائه واصدقائه وتلامذته، بل كانت تمنحه حبهم جميعا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونستطيع القول جازمين بأن هذه المميزات التي كانت تزداد ترسّخا في شخصية السيد هاشم، طول اعوام الدراسة في النجف الاشرف، هي اساس ما عُرف به ايام طلب العلم هناك من مثابرة مدهشة على الدرس والمدارسة، ومن انكباب نادر المثال على الكتاب لا تلهيه عنه مغريات المجالس العامرة، يعقدها ايام العطل الاسبوعية، زملاؤه واصدقاؤه ترفيهاً لنفوسهم من عناء الدرس والتدريس . . . هذا لا يعني ان السيد هاشم كان زمِّيتاً ، أو انطوائياً ، أو متحرِّجا من مجالس الانس البريئة، أو كان كزّ المزاج لا تُطيب له مؤانسة الاصدقاء والزُّملاء. . بل كان أمره على عكس ذلك: كان الوفاً سريع الالفة طيب المؤالفة، تطرب نفسه للقاء الاصدقاء، يهتزُّ جسده كله سروراً ومرحاً للفكاهة اللاذعة الناقدة ويضحك لها مِلْء صدره، بل كثيرا ما كان هو يبادر بها ويرسلها عفوية ضاحكة محببة. . غير انه لم يَدَعْ لنفسه ان تسترسل في الاستمتاع بهذا كله، كيلا يطغى على استمتاعه الروحي بتحصيل المعرفة والعلم. . لذا كان حريصا على ان يقيم التوازن بين هذا وذاك في حياته اليومية، وكان ناجحاً جداً في إقامة هذا التوازن بالفعل. . .

السيد هاشم، طالب العلم، كان نموذجاً محترماً للطالب المنظَّم التفكير والعمل. . كان تنظيم عمله اليومي يتناسب مع نَسَق تفكيره الدقيق التنظيم. . فإنه بالرغم من تعدُّد عمله اليومي، كمياً ونوعياً، كان يبدو صافي الذهن، هادىء الاعصاب، متهلّل الوجه، فكأنه يعمل عملاً واحداً سهلاً. . مرجع هذه الظاهرة فيه هو قدرته الفائقة على تنظيم فكره وعمله. . هذه القدرة كانت له عوناً على إنجاز اعماله اليومية كاملة ومتقنة دون أن ترهقه ذهنياً ولا جسدياً. . بهذا القدر من حسن تصريفه الأمور كانت له الطاقة المدهشة في أن يحضر في اليوم الواحد أكثر من حلقة دراسية، وأكثر من حلقة مذاكرة، وأن يمارس التدريس لأكثر من حلقة وكتاب. . غير أن الأهم من كل ذلك انه كان يتعامل مع زملائه وتلامذته كأنه هو المستفيد دائماً منهم في حين كان هو يفيد أكثر مما يستفيد. . من هنا كان السيد هاشم نموذجاً في التواضع بقدر ما كان نموذجاً في تنظيم عمله وتفكيره. .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كل خلاقه ومزاياه هذه سواء ما اكتسبه في نشأته برعاية والده السيد معروف، أم ما ترسّخ فيه منها خلال طلبه العلم بالنّجف الاشرف، هي جميعا اخذت تبرز وتتوهّج، أكثر فأكثر، منذ انتهت مرحلة طلب العلم، وعاد الى جبل عامل ليمارس مهمّته كرجل دين.. في مرحلته الجديدة تغيرت كل الظروف السابقة، وجاءت ظروف مختلفة جداً.. وتبدلت شروط الحياة وشروط العمل، بل تبدّلت حتى شروط التفكير.. بمعنى ان شخصيته الانسانية اصبحت عرضة لأن تتكوّن من جديد بصيغة جديدة. وصار من الممكن والمحتمل أن تهتزّ شخصية طالب العلم حين ينتقل فورا الى مرحلة عليه أن يواجه فيها الحياة والناس والأشياء والقضايا بوجه جديد، بشخصية جديدة، بمواقف جديدة، بعادات جديدة، بمزاج جديد الخ، الخ...

وهنا الامتحان الكبير، العسير، الشاق... هنا التحوُّل من شخصية طالب العلم الى شخصية رجل الدين بكل ما تحتمل شخصية رجل الدين من صفات وصيغ عيش وتفكير، ومن اشكال تعامل، مع الناس، مع الواقع الجديد... إنه التحول الصعب. فكيف إذن واجه السيد هاشم ظروفه الجديدة، واقعه الجديد... هل اهتزت شخصيته الطالبية النموذجية امام شخصية رجل الدين التي كان عليه ان يتقمّصها بسرعة دون اختلال؟

أسئلة كثيرة من هذا النوع تحتشد في الذهن .. مع أن سيرة السيد هاشم النقية، وفكره النقي، يقدمان لنا الجواب عن كل هذه الاسئلة بارتياح دون مشقة.. فقد بقيا على نقائهما دون انكسار.. وبقي السيد هاشم الطالب النموذجي، هو نفسه السيد هاشم العالم رجل الدين المرتجى.. بل أصبح اكثر نموذجية، اي اكثر توهجا، أي اكثر حضورا في ظروفه الجديدة منه في ظروفه السابقة كطالب علم...

كل المزايا التي عرفناها في السيد هاشم طالب العلم في النجف الاشرف، اثبتت حضورها الابهى في العلامة السيد هاشم رجل الدين في جبل عامل:

أخلاق التواضع والصدق وعفة اليد واللسان والضمير وبساطة العيش

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رغم وَفْرة اسباب العيش لديه. . كل هذه الاخلاق والصفات فيه، برزت عنده بصيغتها الجديدة منذ بدأ حياته الجديدة كرجل دين.

لكن هذه الاخلاق والصفات ذاتها اتخذت صيغتها الجديدة مسيّجة بسياج حصين منيع من الورع بأعمق معانيه وأكثرها شمولية، إنه الورع الذي يصون صاحبه لا من مقاربة المحرّمات الدينية التعبُّدية وحدها، بل يصونه ـ أولاً وآخراً ـ من مقاربة المحرّمات التعامليّة بخاصة: دينية، واجتماعية، وانسانية ووطنية. . إن هذا النوع التعاملي من الورع، هو ما يضع الفارق الحاسم بين الورع العادي والاستثنائي، أو بين الورع السطحي والعمقي، أو بين الورع الزائف والحقيقي. .

ورع العلاّمة السيد هاشم معروف كان ورعاً ذا طبيعة شمولية، أولاً، وكان ـ الى ذلك ـ ورعاً استثنائياً وعُمقياً وحقيقياً. . نقول هذا لا اعتباطا ولا امتداحا. . وإنما نقوله اعتقادا واستنادا الى الواقع والشاهد والملموس من سيرته النقية. . فنحن نعرف من سيرته هذه أنه:

اولا: كان له من صدق إيمانه الديني حصانة قوية وراسخة تمنع عنه الوقوع في شرك المغريات الأثمة مهما تكن عليه من قوة الاغراء وسحره. . وهذا هو الورع الديني. .

ثانيا: كان له من ادراكه السليم وحدسه الصائب ما يعصمه من كلا الشَّرّين: شر العزلة المطلقة عن الناس دون تمييز بعضهم من بعض، وشر الاندماج المطلق بالناس دون الحيطة والحذر من بعضهم دون بعض. بفضل هذه العصمة أمكنه اجتناب اهل الشّر منهم، مع الافادة من صلته بالخيّرين فيهم. . وهذا الورع الاجتماعي.

ثالثاً: كان من سماحة القلب ونبل العاطفة ما يضعه قريباً من الناس الضعفاء والبؤساء والمعذّبين. . بفضل هذا القرب الحميم استطاع أن يبلسم بعض الجراح قدر ما لديه من الممكنات. . وهذا هو الورع الانساني. .

رابعاً: كان له من شرف العقل ونزاهة الضمير ما يبعده عن اهل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشبهات الذين لا يتورّعون عن بيع الوطن والمواطنين لقاء مكاسب شخصية . . بفضل هذا الشرف والنزاهة فيه كان قادرا ان يمتنع عن الانزلاق الى المنحدرات الموبوءة . . وهذا هو الورع الوطني . .

دخل العلّامة السيد هاشم معروف الحسني عالم الوظيفة كقاضٍ في المحاكم الشرعية الجعفرية في لبنان . . لماذا فعل ذلك؟

نقول واثقين إنه لم يدخل عالم الوظيفة هذه إلا عن ضرورة دفعته الى ذلك . . هذه الضرورة لا يستطيع ان يدركها ويدرك قدرها إلا من عرف ظروف العيش التي يعانيها رجال الدين في جبل عامل، خصوصا منهم اهل العفّة والتواضع وصدق القول والعمل . . هؤلاء يعزّ عليهم أن تضطرهم ظروف العيش احيانا الى الخروج ـ ولو مقدار شعرة ـ عن اخلاقية العفة والتواضع والصدق . . من هذا الوجه المشروع اضطر السيد هاشم ان يتجنّب حالة الخروج عن أخلاقيته الاصيلة فدخل عالم الوظيفة كارهاً لا مختارا . . لكنه فعل حسناً . . لقد أثبت ان الوظيفة ليست شرّاً بذاتها، وإنما هي تتشرّف بمن يصاحبها بشرفه، ويلطّخها بالدنس من يلصق بها دنس يده وضميره . . لقد شرّفها السيد هاشم بالفعل: شرّفها بنزاهة يد، وشرّف ضميره، وشرّفها بورعه الصارم . . وبسيرته النقية .

ولقد اثبت السيد هاشم ايضا خطأ الزعم أن الغرقَ في حياة الناس أو حياة الوظيفة يلغي فرص النشاط الفكري . أي يلغي ممكنات العمل في مجالات الفكر والعلم . .

إن سيرة السيد هاشم وفكره يقولان: لا . . بل إن الاتصال بالناس، مهما يكن واسعا وعميقا يكن باعثاً لنشاط العقل، ومصدرا لاغتناء الفكر، ومُلهماً للعمل والابداع . . فقد برهن السيد هاشم، عملياً، أن فرص الانتاج العقلي اكثر ما تكون توفّراً حين يكون العالم والمفكّر بين الناس يتعامل معهم ويتعرف احتياجات عقولهم، ويتفهّم قضاياهم ومشكلات حياتهم . . برهن على ذلك بنشاطه الخصب منذ اخذت تتعدّد وتتشابك علاقاته بالناس، ثم منذ اخذت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مهمات القضاء الشرعي تزدحم وتتكاثر عليه في المحكمة وفي البيت على حد سواء.

وبعد، فليس اقوى دلالة على السيد هاشم معروف الحسني من مؤلفاته العلمية والفكرية.. مؤلفاته وحدها تقول لكم أية سيرة نقيّة، وأي فكر بنّي، ترك لنا فقيدنا الكبير السيد هاشم معروف الحسني.

صديق المؤلف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السيد هاشم معروف الحسني : إنساناً وباحثاً إسلامياً

الانسان والباحث التقيا في السيد هاشم معروف حتى قبل أن أصبح السيد واحداً من أعلام المؤلفين الباحثين . . . التقى فيه الانسان والباحث ليتكون منهما ـ متلازمين متكاملين ـ هذا البنيان غير العادي : بنيانه الدينامي ، العصبي ، الخشن الاليف ، الانيس ، الرومانسي . . ورومانسيّته تكمن في ايمانه وتديّنه ، وهي تبلغ بحرارتها وصفائها مبلغ الحالة التي اسمها : الورع . . لكن اسمها في حالة السيد هاشم معروف الحسني خصوصا : الورع العظيم . .

الانسان باحثاً : انسان يطلب الحقيقة . . والباحث انساناً : باحث يعشق الحقيقة . . والسيد هاشم : انساناً وباحثاً ، هو : من عرفناه يطلب الحقيقة بشعور مرهف بالعشق وبالصدق . . أقول : الصدق ، لأنه لا عشق إن لم يكن الصدق . . ومذ عرفت السيد هاشم في علاقات البحث والمدارسة في النجف حتى وقف قلمه وقلبه ، عرفته يبحث عن الحقيقة بعشق وصدق ، لكن ايضا بمنهجيّة منضبطة ومنفتحة على كل جهات الحقيقة . . .

لا بل الحدس الصُّوفي الغيبي حدسْتُ فيه هذه المميزة الباهرة . . كان حدسي واقعيا جمعت عناصره الواقعية من تفاصيل كنت أرصدها في يوميات السيد هاشم الدراسية ، حتى كان ذلك اليوم السعيد عام ١٩٣٦ . . وهو السعيد بحق لأنني من ذلك اليوم حتى اخر ايام دراستي في النجف وجدت من حلاوة المعرفة ما لم يكن ميسراً لي أن أجد مثله من قبل . . لم يكن السيد هاشم واحداً من حلقة الاصدقاء لنا ، ولا واحداً من زملاء الدراسة . . لكنّا جميعا كنا نلحظ كيف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يستخدم وقته بتنظيم بالغ الدقة، ونلحظ أن وقته المُنظم بهذه الدقة موقوف على الدرس والمدارسة.. في حين كان وقتنا يتوزع على مشاغل متعددة متنوعة.. في ذلك العام بالذات (١٩٣٦) كنت قررت قراري الاخير: أن أبرمج وقتي ودراستي برمجة صارمة، وان أمسح من خارطة يومياتي كل شاغل يدخلها غريبا عن برنامجي الذي رسمت... لكن هذا الالتزام كان يقتضي - بالضرورة - التزاما آخر لا غنى عنه في نظام الدراسة النجفية وقتئذٍ... أعني كان يقتضي البحث عن رفيق يستطيع أن يلتزم معي هذا الالتزام، أو عن رفيق يكون له برنامجه الدراسي الصارم، الذي قررت ان يكون لي.. اي رفيق للمدارسة والمباحثة في موضوعات ومسائل علمية كان علينا استيعابها ذاتيا خارج حلقات الدروس مع الاساتذة. وكان قد ثبت عندي بالتجربة، خلال سنوات الدراسة هناك، ان هذا الشكل من الممارسة الذاتية في عملية التحصيل، هو الاجدى في كسب المعرفة، وهو الاكثر قدرة على تكوين الذاكرة المعرفية الغنية، وعلى تحقيق استقلالية الشخصية العلمية للدارسين... قلت: الممارسة الذاتية لأنها تعتمد لدى كل من طرفيها على التحضير الذاتي الجاد، يحفزه، الى جانب حب المعرفة، حب التكافؤ العلمي مع الطرف الاخر، واحيانا: حب التفوّق.

كان لا بد أن أبحث عن هذا الرفيق، وكان لا بد أن اقتحم اليه كل هذه العوائق... وبعد رصد طويل جاءني ذلك الحدس الواقعي الذي حدستُ في السيد هاشم معروف الحسني.. وجاءتني اللحظة السعيدة ووجدته كان اختياري مفاجأة له، وكان فرحه بالاختيار مفاجأة لي، وتقاسمنا بالتكافؤ فرح المفاجأة.. وبقي الفرح قسمة بيننا بالتكافؤ ايضا على مدى زمن الرفقة السعيدة هذه التي امتدت حتى عام ١٩٣٨، أي حتى آخر يوم من عمر دراستي في النجف.. كان فرحنا يزداد عمقا كلما ازددنا شعوراً بأن هذه الرفقة تعطينا المعرفة بقدر ما كنا نعطيها من جهد مشترك.

باعتزاز أقول الآن إن رفقة المدارسة والمباحثة مع السيد هاشم، اعطتني نعمة الفَرَحَيْن معا: فرح الصداقة، وفرح المعرفة... حتى الصداقة هنا كانت علاقة المعرفة تُرْبَتَها وجذرها اللذين منحاها ذلك الصفاء والنقاء... والمعرفة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذاتها هنا كان لها تربتها وجذرها الكامنان في أن السيد هاشم معروف الحسني له شخصية الانسان الباحث، او الباحث الانسان، أو طالب الحقيقة بشعور مرهفٍ بالعشق والصدق.. من هنا كان للمعرفة التي نكتسبها معا، مدارسة ومباحثة، معنى آخر وطعم آخر.. كان لها معنى الاقتحام والمغامرة، ثم كان لها طعم الكشف والاكتشاف..

برنامج المدارسة والمباحثة الذي وضعناه موضع التنفيذ فورا، هو نفسه كان شكلا من الاقتحام والمغامرة.. لقد قرّرنا أن نلتزم مُدارسة بعض الكتب الفقهية/ الاصولية غير الموضوعة للدرس وقتئذٍ في النجف، ككتاب «بُلغة الفقيه» مثلا، ومدارسة بعض الموضوعات الصعبة في الكتاب المعتمد والأهم لدراسة اصول الفقه هناك، كتاب «كفأية الأصول» للأخوند (الملا كاظم الخراساني)، كموضوع «مقدمة الواجب هل هي واجبة»، وموضوع «الأمر بالشيء، هل يقتضي النهي عن ضدّه؟»

لصعوبة في النص كانت الرهبة تسيطر على الطلبة حين تصل بهم الدراسة في كتاب «الكفاية» الى هذين الموضوعين بالاخص، حتى مع حضورهم حلقات الدروس على كبار الاساتذة.. فكيف إذن يقتحمها طالبان وحدهما دون الحضور في حلقات الدروس أي دون معرفة الاساتذة..

لقد اقتحمنا بالفعل، واخترقنا سطوة الرهبة التقليدية.. وكان السيد هاشم معروف، بدأبه العظيم، وبإصراره على طلب الحقيقة بلهفة العاشق، يزيدني ثقة بجدوى الاقتحام، ويزيدني ـ بذلك تَوْقاً الى متابعة الجهد الطموح للكشف المعرفي بشجاعة تشبه المغامرة.

الانسان والباحث اللذان كانهما السيد هاشم معروف الحسني، بقيا معا ـ متلازمين متكاملين ـ يرهفان رومانسيته الايمانية، ويؤكدان فيه انسانية الباحث عاشق الحقيقة بصدق.. تقيا هكذا مدة المرحلة الدراسية «في النجف» ثم تقيا بصورة أغنى وابهى، في مرحلته الأخرى، أي مرحلة الممارسة العملية المباشرة لصفته كرجل علم ودين، في الوطن، في جبل عامل من لبنان... كنا افترقنا في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذه المرحلة، لكن ظل السيد هاشم معروف حقيقة نامية نضرة بين أنضر ما غرسته النجف في حياتي من حقائق نبيلة لن يصيبها الذبول ابدا. . كنا افترقنا في هذه المرحلة، لكن لم يفارقني الحنين الى أن أعرف كيف تصير علاقة الانسان والباحث بشخصيته الجديدة: كرجل علم ودين! . . ظل الحنين يتجدد ولا ينقطع، حتى رأيت كتبه تصدر تباعا، وقرأت معظمها، واطمأننت. . أقول: اطمأننت، ولا أزيد. . فالاطمئنان هنا عندي يُغني عن الكلام الكثير، لأنه يعني عندي أن جذوة العشق للحقيقة، أي لمقاربة الحقيقة، أي لاقتحام الصعاب اليها، والمغامرة حتى الوصول، هي لا تزال تلك الجذوة التي عَرفْتُ من قبل، بل تحولت الى لهب يتأجج، الى مصابيح تتوهج. . وكما عرفت السيد هاشم معروف، في النجف، طالبا يبحث عن الحقيقة بعشق هو الصدق، لكن ايضا بمنهجية منضبطة ومنفتحة على كل جهات الحقيقة، هكذا وجدت السيد هاشم ذاته، وأفضل منه، في كل واحد من مؤلفاته الاربعة والعشرون المطبوعة حتى الآن . . وجدته في المؤلفات ذلك الذي يُقبل على البحث بشوق العاشق، وذلك الذي يقتحم الصعاب بعزم المغامر، وذلك الذي لا تعرفه حماسة العاشق ولا عزيمة المقتحم عن الانصياع الى منهجيّته المنضبطة والمنفتحة على كل جهات الحقيقة. .

إذا استقصينا المؤلفات الاربعة والعشرون واستعرضنا الموضوعات التي تعالجها المؤلفات، وجدناها نوعين: نوعا يطرق ابوابا للبحث مطروقة ومألوفة، مثل: «عقيدة الشيعة الاماميّة» و«سيرة المصطفى» (السيرة النبوية) و«سيرة الأئمة الاثني عشر» و«الحديث والمحدّثون» و«تاريخ الفقه الجعفري». . ونوعا اخر يدخل في باب الاختصاص التشريعي والحقوقي، أو الفكري والنظري، وهذا باب له طابع البحث الاختصاصي العلمي أو الفكري، ومن هذا النوع كتبه التالية: «المبادىء العامة للفقه الجعفري» و«نظرية العقد في الفقه الجعفري» و«المسؤولية الجزائية في الفقه الجعفري» و«الولاية والشفعة والاجارة في الفقه الاسلامي» و«الوصية والوقف والارث من الاحوال الشخصية في الفقه الاسلامي» و«الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة» و«بين التصوف والتشيع» الخ. . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لنقرأ ـ أولا ـ في مؤلفات النوع الأول.. هنا نجد السيد هاشم معروف يكتب موضوعه كمن يدخل بابا غير مطروق وغير مألوف.. هنا نجده مقتحماً مقداماً، لأنه واثق أنْ سيضيف جديدا الى الموضوع، أنْ سيقول شيئا يُضفي على المعالجة طابعه هو بالذات.. وهو نفسه يسجّل هذا الموقف الاقتحامي في عنوان كتابه «سيرة المصطفى» حين يضع تحت العنوان بحرف كبير: «نظرة جديدة».. وتسأل أنت: ما عساه يكتب جديدا أو ينظر نظرة جديدة في سيرة النبي.. وأنت تبحث في الكتاب نفسه عن النظرة الجديدة.. وتجدها.. لكن، لن تجدها في اسلوب الكتابة أو أسلوب التأليف.. فلا جديد هنا.. إنما هي تفاجئك مذ تبدأ القراءة.. تفاجئك كامنة في تلك المنهجية ذاتها التي عرفناها قبل.. أعني المنهجية المنضبطة والمنفتحة على كل جهات الحقيقة.. لنقرأ من بداية الكتاب.. فهنا «تمهيد» يفتتحه السيد هاشم بهذا الكلام: «يحاول فريق من الكتّاب، القدامى والمحدثين، أن يصوّروا العرب قبل الاسلام وكأنه بناء أصيب بزلزال شديد زعزعه من أساسه، فإذا كل شيء فيه غير قائم في محله، وأصبح الذئب راعيا والجائر قاضيا، والمجرم سعيدا، والصالح محروما، والعادات تتحكم في مصيرهم وتجرُّهم الى الفناء والدمار.. قد تمادى انسان ذلك العصر في الفجور والطغيان ـ على حد زعمهم ـ الى الاستهتار بالقيم ومحاربة الفضيلة، وتعاطى استعمال الربا الى حدود الاغتصاب والسلب، واستحوذ عليه الطمع الجامح والجشع والنهم وبلغت به القسوة الى حدود وأْد البنات وقتل الأولاد.. ومضى هؤلاء في تجريد العرب من جميع القيم حتى من إنسانيتهم، فقالوا: لقد تباهى العربي بالشجاعة والجود والانفة، وافتخر على سواه من أبناء الأمم الواقعة على حدود منطقته، وبرزت هذه الصفات في حياة الانسان العربي، ولكن بعد أن أساء استعمالها في المحل المناسب، عادت وبالاً عليه، فتحولت شجاعته الى الفتك بالابرياء، وجوده الى اسراف وتبذير، وأنفته الى حمية جاهلية، وذكاؤه الى صراع وايجاد الوسائل التي تهيّىء له ارتكاب الجرائم وتوفّر له اشباع شهواته».

يسترسل السيد هاشم هكذا في عرض الصور البشعة لعرب ما قبل الاسلام، كما يتصورها اولئك الكتّاب حتى يستنفذ معظم ما كتبوه في هذا الصدد.. وحينئذ يقول موقفه من هذا كله: فلنقرأ موقفه:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«. . وفي عقيدتي أن هؤلاء الذين حاولوا أن يجعلوا من العرب في جاهليتهم الأولى والثانية لا تشبه إلا الوحوش الضارية في متاهات الأحراش والغابات، قد تخطّوا الواقع في احكامهم الى حدود الجور، وبالغوا في تجريمهم الى حدود الغلوّ والاسراف، ذلك لأن الباحث في تاريخهم لا يجد اكثر من بعض الفوارق بينهم، وبين غيرهم من الأمم كالفرس والرومان وغيرهما». . وهنا ينسب السيد تلك الفوارق القليلة الى «طبيعة الصحراء القاسية» من حيث كونها لا توفر لسكانها اسباب الاستقرار التي تستدعي التطور الحضاري. . ثم يتجاوز هذا العامل الطبيعي السلبي ليعرض مقابل ذلك جملة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية التي كانت عوامل ايجابية ساعدت عرب ما قبل الاسلام على الدخول في ظروف التطور والاستفادة من اشكال التطور الحضاري الماثلة وقتئذٍ في العالم المحيط بهم والمتعامل معهم. . .

يستوقفنا هنا، خلال هذا النقاش الصدامي، أمران اثنان: أولهما، تصدي السيد هاشم معروف للرّد على ذلك الموقف الاعتباطي «اللاتاريخي» حيال عرب ما قبل الاسلام. . وأهمية المسألة هنا أن التصدي للرّد على هذا الموقف يأتي هذه المرة من موقعه الاسلامي نفسه، لا من موقعه القومي، فالسيد هاشم معروف يردّ هنا كمسلم مؤمن بالاسلام حقا وصدقا . وهو من هذا الموقع ذاته يتصدى لدفع تلك الخدعة الشائعة عن تاريخ العرب وتاريخ الاسلام كليهما. . فإن عرب ما قبل الاسلام هم انفسهم عرب الاسلام. وتاريخ هؤلاء هو الجزء الاساس من تاريخ الاسلام. .

أما ثاني الأمرين، فهو ان موقف السيد هاشم معروف هنا، ينهض على قاعدة صلبة راسخة تستمد صلابتها ورسوخها من كونها منطلقا صحيحا للتوجه نحو البحث العلمي. . . في هذا «التمهيد» لكتاب «سيرة المصطفى» يبرز السيد هاشم باحثاً يملك الاداة المعرفية والفهم العلمي للبحث بمنهجية واقعية، ويأخذ بهذه المنهجية بالفعل، ويرفض الأخذ بالأوهام والتصورات الذاتية في قراءة التاريخ. . . نجد هذه المنهجية الواقعية متبلورة بصفاء حين هو يأخذ، على مدى عشر صفحات من هذا «التمهيد» في تحليل الواقع التاريخي لحياة العرب قبل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاسلام تحليلاً نقرأ خلاله مختلف الظروف والعوامل والعناصر والجوانب التاريخية المكونة لذلك الواقع بعلاقاته الداخلية والخارجية، وبشروط وجوده التاريخي . .

يستوقفنا السيد هاشم معروف مرة ثانية قبل أن نَصِل الى العالم الداخلي لكتابه «سيرة المصطفى» . . يستوقفنا «بالمقدمة» التي سبقت «التمهيد» . . وهي ليست مقدمة بالمعنى التقليدي المألوف . . إنها الى الابتهال أو المناجاة أقرب . . إنها تنويع ايماني إسلامي، ومنهجي واقعي في آن . . هنا أيضا موقف اقتحامي جديد، أو مواقف اقتحامية عدّة في مساحة تقلّ عن ثلاث صفحات . . والافضل لنا أن نُنصت اليه يناجي النبي المصطفى بهذا الصوت المضمَّخ بتراب الارض . .

«ليست سيرتُك يا رسول الله، إلا قصة إنسان قد اتّسع قلبه لآلام البشر ومشكلاتهم، فناضل وجاهد، ووقف بحزم وثبات وقوة، في وجه القوى الغاشمة المفترسة، من أجل الإخاء بين الناس، ومن أجل العدالة والحرية، ومن أجل المحبة والرحمة ومن أجل مستقبل أفضل لجميع الناس بلا استثناء: الذين يؤمنون بك بنبوّتك ورسالتك، والذين لا يؤمنون بها على السواء».

«إن الملايين من المسلمين لا يعرفون عن سيرتك ورسالتك التي تشدّهم الى الارض وخيراتها في آن واحد . . إنهم لا يعرفون عنها إلا ما ألصق بها من القشور والخوارق والاساطير . . وهم إذ يعظمونك ويصلّون عليك ويسلّمون، يفعلون ذلك من تقليد موروث بكلمات تدور على ألسنتهم في كل يوم مئات المرّات، ويحسبون أنهم عظّموك وقدّسوك إذا صلّوا وسلّموا عليك حتى ولو انحرفوا مع اطماعهم وشهواتهم عن تعاليمك وسيرتك ورسالتك التي تحدد الاسلام بالعمل لا بالقول وحده، وبالواقع لا بالشعارات الجوفاء، وبالتعاون مع الاخرين والعمل المخلص لخير الناس لا بالاستئثار واستغلال الانسان لأخيه الانسان».

« لقد اتخذوا من سيرتك قصة يتلونها يوم ميلادك ومبعثك صاغوها بكلمات ونعوت جوفاء تمتلىء بها حناجر أولئك الذين يتاجرون بميلادك ومبعثك ومعراجك لأغراض لا تمّت الى الدين بصلة من الصلات، وانصرفوا عن واقعها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجوهرها وما فيها من دروس وعظات.. كما انصرفوا عن اوامر قرآنك ونواهيه ومضامينه وما فيه من دعوة للجهاد والكفاح والصبر والتضحيات في سبيل الحق، والتمسك بمكارم الاخلاق.. لقد انصرفوا عن ذلك أو أكثر.. الى التغنّي به في الإذاعات من شرق الارض وغربها، وحتى من إذاعة اسرائيل وصوت بريطانيا وغيرها ممن يحاربون رسالتك وقرآنك لأنهما يشكلان خطراً على وجودهم واطماعهم ومصالحهم».

«لقد ضحيت كثيرا في سبيل الله وخير الانسان، وتحمّلت ما لا يطيقه احد من الناس، لتضع حداً للجشع والاستغلال والعنصرية، واستطعت بعد جهاد طويل ومرير أن تسيطر على تلك الأوضاع الفاسدة التي كان يعاني منها انسان ذلك العصر، ووضعت الحلول لكل ما يعترض البشرية من صعاب، ويعرقل مسيرتها نحو مستقبل أفضل يضمن لكل انسان عزّته وكرامته وسعادته في الدّارين (...) ونهيت الى الركون والاطمئنان الى الظالمين».

ذلك نموذج للنهج الاقتحامي الذي سلكه السيد هاشم معروف حتى في النوع الأول من مؤلفاته، أي نوع المؤلفات التي تكتب في موضوعات كثرت الكتابة فيها إلى حد الاشباع.. فكيف، إذن، سيكون نهجه الاقتحامي في النوع الثاني من مؤلفاته، أي نوع المؤلفات ذات الطابع التخصصي في العلم والمعرفة؟

نأخذ **أولاً** ـ من هذه المؤلفات كتاب «المبادىء العامة للفقه الجعفري».

الجانب الاستعراضي التاريخي لا يعنينا هنا من أمر الكتاب. وحده المنهج يعنينا، منهج البحث، والموقف الصدامي الاقتحامي الذي يتواصل مع المنهج.. ونحن نبدأ نرى هذا الوجه من الكتاب، منذ يبدأ المؤلف يعرض لمحة عن الوضع السياسي في عصر الامامين: محمد الباقر وجعفر الصادق.. خلال عرضه هذه اللمحة يلحظ أن المستشرق نيكلسون حين يضع فرقاً بين ثورة الخوارج الشهيرة وبين ثورة الموالي، يضع هذا الفرق على اساس أن الشيعة والخوارج لديهم حجّة تمنع الامويين من استخدام السّيف في وجههم، وهي المحافظة على القانون والنظام أو الاسلام.. أما الموالي فليس لهم هذا الحق. لذا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هم (أي الموالي) لا يملكون حجة تمنع الأمويين من استخدام السيف. . .

يتصدى السيد هاشم هنا لهذا النحو من التفريق، بالنقد والرد، لأنه يرى فيه خطأ، ويرى مصدر الخطأ جهلا بالنظام الذي فرضه الاسلام وأوجب على الحكام تطبيقه. . يعني بذلك «إن الاسلام لم يفرق بين لون ولون، ولا بين عنصر وعنصر، ولا بين السادة والعبيد، من حيث القانون والنظام العام، أو المبادىء الاسلامية، إلا في بعض الحقوق الخاصة بين الأسياد والعبيد. أما القانون أو الاسلام الذي كان الأمويون يستهترون بهما، فمن حق كل مواطن أن يحافظ عليهما ويرعاهما، لأنهما للجميع من غير فرق بين عنصر وعنصر. . . والحجة التي يملكها الخوارج والشيعة في وجه الأمويين يملكها الموالي ايضا»

هذا إذن موقف يتصل بالمنهج ويتواصل معه، فهو هنا يضع اساسا للدفاع عن المبادىء الثوابت للشريعة، وللدفاع ـ في الوقت نفسه ، ضمناً ـ عن حقوق الانسان التي هي المرجع والمصدر لتلك المبادىء الثوابت للشريعة. . وعلى هذا الاساس ذاته يأخذ الكتاب شرائح من الوضع السياسي في دولة الامويين ومن الظاهرات الاجتماعية، السلبية التي كان ينتجها هذا الوضع السياسي، والتي يقول السيد هاشم انه «كان لها أسوأ الأثر في نفوس الملايين من أبناء الشعب الذي كان الحكام يمتصّون دماءهم إذا نفذت اموالهم، وما ذلك إلا لإشباع شهواتهم». ثم يقول السيد: «وإذا اضفنا الى ذلك حِرمان الموالي حقوقهم المشروعة المفروضة لهم كمواطنين قد ساواهم الاسلام بغيرهم في الحقوق والواجبات وأضفنا ايضا اضطهاد الذمّيين ومعاملتهم بالعنف والقسوة، مع أن الاسلام قد ضمن لهم كرامتهم وحفظ دماءهم وأعراضهم وأموالهم، ثم اضفنا كذلك انغماسهم (أي الحكام الأمويين) بالشهوات والملذات حتى بلغ بهم الحال أن ينصرفوا عما هو مألوف عند العرب والمسلمين من العادات والتقاليد. .»، يقول: إذا اضفنا كل ذلك، وجدنا هذه الاسباب وغيرها هي الاساس في أن «شاع الاضطراب وعمّت الفوضى وانتشرت الفتن (. . .) واندلعت الثورة في انحاء البلاد شرقا وغربا. . .»

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هنا يدخل السيد هاشم في عملية البحث الجادِّ من طريق رَصده الاستقصائي لحركة الفعل ورد الفعل التاريخيين، أي المعبّرين عن حركة الصراع الاجتماعي في السطح وفي العمق... بهذه المنهجية الواقعية، ذات النبض التاريخي، يؤسس للبحث الاقتحامي في المبادىء العامة للفقه الاسلامي الجعفري. وحين يصل الى هذه المبادىء ذاتها بالتحديد والتعيين، نجده قد أكمل عملية التأسيس، بحيث أصبحت كل المبادىء العامة هذه محكومة بالمبدأ الاساس: مصلحة المجتمع... نرى ذلك يتجلى ـ مثلا ـ بمبدأ تحريم الاحتكار... يقول السيد هنا إن الفقه الاسلامي الجعفري قد تعرّضَ الى كل ما يتصل بحياة الانسان ويضمن له الراحة والسعادة» ... ثم يبادر الى وضع اعتراض يتعلق بنظرية الحرية آتياً من الفئات الاجتماعية التي يُضر مبدأ تحريم الاحتكار بمصلحتها، أي فئات التجار الاحتكاريين. والاعتراض هو أن مبدأ تحريم الاحتكار يتنافى مع مبدأ تشريعي آخر يقول بحق كل انسان في حرية التصرف بنفسه وبماله...

السيد هاشم يدفع هذا الاعتراض بأنه «إن كان الاسلام يعلن أن للانسان حُرّيته على نفسه وماله، هو ـ من جهة أخرى ـ يحد من حريته وسلطته على ماله وتصرفاته حين تكون هذه الحرية «مزاحمة لحقوق الآخرين في الحياة»، وهو ـ أي الاسلام ـ ينكر أشد الانكار أن يندفع بعض الافراد بدافع من أنانيتهم وشرههم الى استغلال الغير والاثراء من أقوات الشعب وضرورياته... من أجل ذلك نَهَى الاسلام عن الاحتكار، وحدد موقف التجار من الاسواق»

وانطلاقا من موقف الدقة في البحث، ومن موقف الورع الفقهي، حَرَص السيد على تحديد المفهوم التشريعي الاسلامي للاحتكار. فإذا هو يحدده على النحو الآتي: ... «أن يقوم فرد أو جماعة بشراء نوع من الحاجيات التي هي في معرض الاستهلاك، وبعد شرائها ينتظر في بيعها الربح الفاحش، مما يؤدي الى ايقاع الضرر بالمستهلكين، وعلى الاخص الطبقات الفقيرة»

على أن هناك اختلافا في الحكم بالاحتكار يرجع الى اختلاف في تقدير نسبة حاجة الناس الى المادة المحبوسة عنهم، ومبلغ تأثير احتكارها على الحالة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العامة. قد يكون الاحتكار مكروهاً وقد يكون كرماً... وفي بعض الحالات يجب انتزاع المادة المحتكرة من مالكها قهراً لسدّ حاجة الناس اليها... أما الحكم بكراهية الاحتكار دون تحريمه، فذلك في حالة كونه لا يوجب الاضرار بالغير، وكون المادة الاستهلاكية موجودة في السوق، بمعنى انها مبذولة ولا يؤدي إمساكها الى ارتفاع سعرها والاضرار بالمستهلكين... يقول السيد هاشم هنا إن فقهاء الشيعة يجمعون انه يجب على الحاكم أن يجبر المحتكر مع الحاجة على عرض الطعام في الاسواق. ومصدر هذا الحكم الاجماعي هو أن الإمام عليّاً مرّ بالمحتكرين فأمر بحكرتهم أن تخرج الى الاسواق... وبعض فقهاء الشيعة يرى أن على الحاكم أن يضع سعراً محدداً يتفق مع مصلحة المستهلك والمستورد في مثل هذه الحالات، ولا يكفي مجرد عرض البضاعة في الاسواق، لأن ذلك وحده لا يرفع الضرر عن المستهلكين، بجواز أن يتحكم التجار في الاسواق بما يحقق لهم جشعهم ويضر بالمجموع

وفي معرض الكلام على مبدأ الزواج من الكتابيات، يعرض السيد هاشم اجتهادات عدة لفقهاء الشيعة في هذا الباب، ثم يستطرد الى قضية الاجتهاد نفسها، فيرى ان الاجتهاد عند الشيعة فسح المجال لكل فرد أن يحكم بما يفهم من النصوص الاسلامية، ولا يتقيّد برأي أحدٍ وفهمه، مهما بلغ من العظمة في العلم، وقد كان الحال على ذلك بين الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب الاربعة (المصدر السابق).

وفي كتابه «نظرية العقد في الفقه الجعفري» يعود السيد الى مسألة الاجتهاد عند الشيعة فيؤكد كلامه السابق، ويضيف اليه ـ أولاً ـ تحديد مفهوم الاجتهاد بانه بذل الجهد في سبيل تحصيل العلم والظن بالأحكام بطريق التتبع والدراسة واستقصاء الأدلة على نحوٍ يصبح الانسان قادرا على استنباط الاحكام من أدلّتها.. ويضيف ـ ثانياً ـ مسألة وجوب الاجتهاد على كل مسلم يناله التكليف الشرعي، أي أن الوجود هنا وجوب عيني يتوجه الى كل فرد بعينه دون استثناء، لكن تمنع من الوجوب العيني هذا أن تنفيذه يؤدي الى العسر والحرج للناس، والى اختلال النظام الاجتماعي العام، لأن طلب الاجتهاد يستلزم التفرغ من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سائر الأعمال المنتجة وغيرها. . في حين أن التفرّغ هكذا يعطل حركة العمل والنشاط الاجتماعي، فيقع العسر والحرج ويختلُّ نظام الحياة. . . فينتج إذن أن الاجتهاد واجب وجوباً كفائياً أي أن قيام البعض به يكفي في تحقيق الغاية منه، وهي استمرارية حركة التشريع مع استمرارية تجدد الحياة (راجع نظرية العقد. . .).

كتاب «نظرية العقد في الفقه الجعفري» يطرح مسألة أخرى ذات شأن كبير في هذه المرحلة من عصرنا يقف السيد المؤلف منها موقفا اقتحامياً بحق، حين هو يعرضها بطريقته الاستقصائية الواثقة والمتعاطفة مع موضوعها. . . المسألة هنا هي مسألة «العقود المستحدثة». . أي عقود التعامل بين الناس في العصر الحاضر خصوصا «التي لا ينطبق عليها أحد العناوين المدونة في كتب الفقه الاسلامي». . إشكالية المسألة تتحدد بوضع السؤال الآتي:

ـ هل العقود المدونة في كتب الفقه هي المرجع في عصرنا، بحيث يكون كل عقدٍ أو تعامُل باطلاً لمجرد كونه لا ينطبق عليه واحد من العقود أو اشكال التعامل المقررة سابقا في فقه المسلمين الأولين؟

هذه الاشكالية يضعها السيد هاشم معروف مقتحما مجالها بسلاح العلم وسلاح الثقة بالعلم. . يبدأ معالجة الاشكالية بوضع الجانب الآخر من السؤال: هل العقود المقررة سابقا قد أقرّها التشريع الاسلامي: كتاباً وسنة، ودوّنها الفقهاء في مجاميعهم، لا لخصوصيته بها، ولا لأن الطريق الى التعامل والاتجار والتكسب يجب أن لا يتخطاها، بل لأن التعامل بين الناس في الغالب، في عصور التشريع وما بعده، لم يتعدَّ هذه الأنواع من العقود، ولازم ذلك أن الظروف والحضارات التي تختلف باختلاف العصور، إذا اقتضت نوعا آخر للتعامل والاتجار لا يخل بالنظام ولا بالآداب العامة، يكون مصداقا للعقود التي أقرّها التشريع الاسلامي في الكتاب والسنّة. . .

إن وضع المسألة بهذه الصيغة/ السؤال، يضعنا على طريق حل الاشكالية باتجاهه الاقتحامي. . فالسيد المؤلف ـ بادىء الأمر ـ يجد المبدأ العام في القوانين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المدنية المعاصرة يقضي بأن جميع الاتفاقات والالتزامات، مهما كان نوعها وبأي شكل وجدت، هي من العقود، وتصبح نافذة لدى المتعاقدين، إذا لم تخالف القانون والنظام العام. . ثم يجد السيد هاشم «من المستصعب أن ننتزع هذا المبدأ العام من الفقه الاسلامي» لعدم وجود النصوص والقواعد العامة التي تسمح بإدخال كل ما هو مستحدث في النصوص التي أقرّت العقود السابقة وأقرّت بالوفاء بها. . . لكن، بعد هذه التحفظات في المسألة، نجد السيد هاشم يتجه الى التيسير، أي الى العمل بما تقتضيه طبيعة ظروفنا المعاصرة، أي الى اثبات مشروعية العقود المستحدثة، استنادا الى أن النصوص الاسلامية لم ترد فيها ما يقتضي حصر العقود في نوع أو صنف بخصوصه، ولم تعيّن نوع العقد والبيع والتجارة، بل أمرت بالوفاء بالعقود، وأحلت التجارات، وفرضت على المسلمين أن يلتزموا بشروطهم والتزاماتهم، من غير أن تتعرض لأنواع تلك العقود واصنافها، ولا لماهية التجارة وكيفيتها، ولا لشكل الالتزام وموضوعه». . هذا الموقف الاجتهادي الآخذ بعمومية النصوص كتابا وسنة، يدعمه السيد المؤلف بالتوجه السمح الذي يقول هكذا:

« . . . ومعلوم أن الناس، قبل عصر التشريع، كانوا يتعاملون بينهم بالبيع والشراء، ويتعاقدون بجميع الأنواع الشائعة في ذلك العصر وقبله، فلا بد أن يكون الذي يجب عليهم الوفاء به، والبيع المحل لهم، والتجارة المسوّغة لأكل المال، والالزام الذي يجب تنفيذه، وهو ما يسمّيه الناس عقداً وبيعاً وتجارةً والتزاماً في عصرهم، وفي جميع العصور، حسب حاجات الزمن ومقتضيات الحياة. . . وكل ما في الأمر أن الحاجة لم تدع في عصر التشريع وقبله الا لتلك الاصناف من العقود، فإذا ذعت في عصر من العصور الى صنف من العقود، كما حدث بالفعل في عصورنا المتأخرة، يكون المستحدث فردا (مصداقاً) للعقد الذي يجب الوفاء به بمقتضى نصّ الآية: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾، ثم يلخّص السيد موقفه الاجتهادي في المسألة قائلاً:

« . . . وبتعبير أكثر وضوحا، إنه بعد أن فرضنا ان المشرِّع لم يخترع أنواعا وأصولا للتعامل تسمّى بيعاً وعقداً وتجارة. وما دام الأمر متروكا الى العرف، لكلّ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما تفرضه حاجة المجتمع ويستعمله الناس ويسمّونه عقداً، يكون مشمولا لتلك الأدلة العامة التي جاءت لامضاء ما هو متعارف بين الناس في مقام التعامل والاتجار» (راجع كتاب «نظرية العقد في الفقه الجعفري»

أطلنا الوقوف عند هذه المسألة، لأهمية المسألة بذاتها في زمننا هذا بالاخص، أولا... ولأهمية الموقف الاجتهادي الاقتحامي للسيد هاشم معروف من هذه المسألة، ثانيا... ولأهمية ما يقدمه السيد هنا من منهجيته المنضبطة والمنفتحة على كل جهات الحقيقة ثالثا..

والسيد هاشم معروف: انساناً وباحثا، هو طالب الحقيقة وهو عاشق الحقيقة... ولأنه يجمع بين الطالب والعاشق في موضوع واحد، هو الحقيقة، لم يكن محايدا، لأن الحياد يناقض العشق، لأن الحياد نفي للعشق، لأن الحياد نفي للذات... نفي للقضية.. أي نفي للحقيقة نفسها..

لم يكن السيد هاشم معروف، كإنسان وباحث، محايدا، كان منحازا لموضوع عشقه الذي هو موضوع علمه... كان منحازا لحقيقته التي وضع بتصرّفها كل حالات الانسان والباحث فيه... حقيقته هذه اثنان في وحدة... وحدة متكاملة وصلبة... الاثنان هما: الشيعة والمعرفة.. كل كتبه الأربعة والعشرون المطبوعة: دفاع عن الشيعة، وعطاء سخيٌّ للمعرفة.. هو هكذا، واكثر سطوعا، في كتابيه: «الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة» و«بين التصوّف والتشيُّع».. الأول منهما: دفاع عن استقلالية الشيعة بالنسبة لكل من الاشاعرة والمعتزلة، ردّاً على خطأ شائع يساوي الشيعة بالمعتزلة... لكن الكتاب نفسه دَفق غزير وشهيّ من المعرفة، معرفة الفِرق الاسلامية السياسية وعوامل نشأتها، مع توسع في بحث تاريخ المعتزلة والاشاعرة والمرجئة وسائر الفِرق والمذاهب، وبحث آرائها ومعتقداتها، مع بحث مستفيض في مقارنة كل من هذه الآراء والمعتقدات بآراء الشيعة الامامية ومعتقداتها..

أما كتاب «بين التصوف والتشيع» فهو كذلك: دفاع عن استقلالية الشيعة بالنسبة للمتصوفة وللفكر الصوفي، ردا أيضا على خطأ شائع بأن التشيع رافد من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أوسع الر افد التي انطلق منها التصوف وانتشر في الاوساط الاسلامية. . . لكن الكتاب مع ذلك يشكل مرجعاً غنياً وموفقاً وأميناً لدراسة حركة التصوف في الاسلام والمجتمع العربي ـ الاسلامي خلال العصر الوسيط وما بعده. . وهو كتاب يقدم فيضاً من المعرفة يوفّر حتى للباحثين مادة معرفية في الموضوع معروضة بمنهجية واقعية وبتعميق بحثي مثير.

السيد هاشم معروف: انساناً وباحثاً اسلامياً، هو من عاش فيه كل من الانسان والباحث بورع عظيم. . كان ورع الباحث فيه عظيما بقدر ما كان ورع الانسان فيه عظيما.

سلام عليك أبداً أيها الصديق الذي مَنَحتني رفقته نعمة الفرحين معا: فرح الصداقة، وفرح المعرفة. . وهذه كتبك تمنحني اليوم فرح اللقاء بك من جديد في زمن لا يزال ـ كعهدك ـ زمن المقاومة الوطنية زارعة النار والنور في تراب الجنوب لِدحر العدوّين: اسرائيل، واليأس من دحر اسرائيل. . . إنه الفرح الساطع أن نلقاك اليوم من جديد في زمن لا يزال ـ كعهدك ـ زمن انتفاض التراب الجنوبي دفاعا عن شرف الانسان في لبنان، وفي كل مكان.

رفيق الدراسة

صديق المؤلف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في هذا الكتاب

في هـذا الكتاب عـرض ودراسة لبعض الجـوانب من سيـرة الأئمـة الاثني عشـر (ع) وما قـدموه من بـذل وعطاء وتضحيـات لخير الإنسـان ومواقفهم من حكام زمانهم التي كلفتهم راحتهم وحيـاتهم فبذلـوها راضـين مطمئنـين في سبيل مجتمـع أفضل وانسـان افضل وحـاكم أفضل ووقفت حيث اقتضت الحـاجة مـع بعض المرويات والأحداث التاريخية التي لم تسلم من أيدي الدساسين والحاكمـين وأتبـاعهم ملتزمـا الحياد والتجـرد في كل مـا كتبتـه ووقفت عنـده من المـرويـات والأحداث وأرجو أن أكون قد وفقت لذلك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على صفوة الخلق محمد واله الهداة المهديين الذين اجتباهم الله من خلقه وجعلهم الأدلاء على طاعته والدعاة إلى سبيله ورحمته وبركاته .

وبعد لقد كنت أفكر في الكتابة عن سيرة الأئمة الاثني عشر ، وأتمنى أن أوفق للقيام بذلك ، وقد نبلورت لديّ الفكرة وأيقنت برجحانها عندما وجدت وأنا أدرس سيرة النبي (ص) وأكتب فيها ، ان الذين دونوا الاثار الإسلامية في عصور التدوين الأولى لم تعنهم الحقائق اكثر من ارضاء عواطفهم المذهبية وتفاعلهم مع الفئات السياسية يوم كانت سياسة الحاكمين تجري لدى اكثر المسلمين مجرى الدين ، وأحسب اني بعد قناعتي بهذه الأفكار قد استطعت إلى حد ما أن أكتب سيرة النبي بعد دراسة موضوعية لاكثر المراحل التي مرت بها الدعوة من بدايتها إلى اخر مرحلة منها وخرجت منها بأفكار لعل أكثرها جديد على القراء اوحتها إليّ دراستي للأحداث التي فرضتها الظروف والملابسات خلال تلك الفترة من التاريخ ، ملتزماً في ذلك جانب الحياد في كل ما كنت اقف عنده من المواضيع وأفكر فيه .

وإن كنت لا أزعم ان التزام النزاهة والحياد التام في موضوع يتعلق بالعقيدة بالأمر اليسير ، ولكنها محاولة أرجو أن أكون صادقاً بها كما أرجو أن لا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ينظر القراء إلى ما احسبه جديداً فيها من الزاوية التي اعتادوا أن ينظروا التاريخ ويحكموا عليه من خلالها .

وبعد فراغي من سيرة النبي (ص) أحسست من جديد وكأني مدفوع على المضي في الكتابة عن الأئمة الاثني عشر وفاء لحقهم ولأن سيرتهم امتداد لسيرة النبي ومن معينه كانوا يغرفون ، وقد اعترضتهم أحداث قاسية بسبب مواقفهم من أحفاد اولئك الذين اعترضوا الدعوة وحاربوها منذ أن بزغ فجرها حتى استنفدوا جميع امكانياتهم في هذا السبيل .

لقد وقف الأئمة من أهل البيت من أحفاد ابي سفيان والحكم بن العاص والعباس بن عبد المطلب ومن كل حاكم ظالم ومستغل شره ومنافق مضلل نفس الموقف الذي وقفه جدهم المصطفى من طغاة قريش وجبابرة مكة ويهود بني قريظة وتحدثوا عن الحرية والعبودية والغنى والفقر والعدل والظلم والجهل والعلم والحرب والسلم ، ووقفوا إلى جانب المظلومين والمستضعفين والأتقياء والصالحين والفقراء والمعذبين ومع العلم والسلم ، ووضعوا مع ذلك أسس النضال في سبيل عالم افضل وانسان افضل وحاكم افضل ومجتمع أفضل لانقاذ البشرية مما تعانيه من الفقر والجهل والظلم والعبودية والاستغلال وعالجوا جميع مشاكل الحياة بالحلول السليمة التي تتفق مع كل زمان ومكان ، وتركوا من العلم والفضائل والاثار في شتى المجالات ما لا تتسع له المجلدات الكبار ، وما أكثر ما تركوه للانسان أنى وجد وأين كان ، وليس ذلك بغريب عليهم وقد اخذوا عن علي ما اخذه عن النبي (ص) وقد اخذ عنه ألف باب من العلم ، وفتح الله له في كل باب الف باب ،وجعلهم النبي (ص) كالقران لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض وفي القران تبيان كل شيء .

لقد كابد الأئمة من أهل البيت من الحكام وأجهزتهم شتى أنواع المصائب والمحن ، وظلوا يكابدون حتى رحلوا عن الدنيا بين قتيل وسجين وأسير اقامة فرضت عليه ليبقى قريباً من الحكام الذين كانوا يحصون عليهم وعلى شيعتهم الأنفاس ، وكابدوا من المندسين في صفوف شيعتهم ليفسدوا عليهم أمرهم ويشوهوا تعاليم الإسلام بما أدخلوه بين آثارهم من البدع والاساطير ، وكابدوا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حتى من المحبين الذين نسبوا اليهم ما لم يصنعوه وقالوا فيهم ما لم يقولوه في انفسهم ، وكانوا يتلوون من أولئك وهؤلاء ويقولون : والله ما الناصب لنا العداء بأشد علينا ممن قال فينا ما لم نقله في انفسنا ، ويقولون : ما جاءكم عنا مما يجوز أن يكون من المخلوقين ولم تعلموه ولم تفهموه فلا تجحدوه وردوه الينا ، وما جاءكم عنا مما لا يجوز أن يكون من المخلوقين فاجحدوه ولا تردوه الينا .

ولعلهم وهم في مراقدهم يكابدون ممن جمعوا ما رواه الرواة عنهم من الآثار ودوّنوا جميع ما ينسب إليهم من الأقوال والافعال بنية حسنة كما أعتقد ، بدون غربلة وتمحيص ليظهر الحصى من الجوهر والدر من الصدف . هؤلاء على ما بذلوا من جهد مشكور قد امدوا أعداء الإسلام والحاقدين عليه وعلى أهل البيت (ع) بالسلاح ويسروا لهم بث سمومهم وتشويه العقيدة الشيعية كما يبدو ذلك من مؤلفاتهم التي تصدر بين الحين والآخر .

وسواء كتب هؤلاء بنية حسنة أم سيئة فهم يعتمدون فيما نسبوه إلى الشيعة وما ألصقوه بأئمة الشيعة على تلك المرويات المنتشرة في مجاميع الحديث التي بين أيدينا ، والتي لا يزال بعض التجار المنتسبين إلى أهل البيت يعيدون طباعتها بما هي عليه ويهتمون باخراجها بثوب أنيق برّاق يتناسب مع الزمن متجاهلين ما فيها من المرويات التي تسيء إلى الشيعة وأئمتهم ولو بإشارة توحي بذلك .

وحتى أن الذين يكتبون عن الائمة في عصرنا هذا من الشيعة يكررون ما قاله الكليني والصدوق والمفيد وغيرهم من مئات السنين لفظاً ومعناً وترتيباً ولم يأخذوا بعين الاعتبار أن أولئك قد كتبوا ما كتبوه وبذلوا ما بذلوه من جهد مشكور كان يتفق مع عصرهم وكان السبيل الأفضل للتعبير عن واقعهم يوم ذاك .

أما بعد ان طرأت على العقول والأفكار تلك التطورات ، وأصبح الانسان في عقله وتفكيره ونظرته إلى الحياة غريباً عن انسان ذلك العصر ، فلم يعد التعبير عن عظمة الاشخاص بذلك الأسلوب وبالمعجزات والغيبيات مقبولاً ولا مجدياً ، ولا بد من دراسة حياة العظيم على ضوء ما جدّ من أحداث وتطورات وما تركه من آثار ، وآثار أهل البيت (ع) أغنى بالأدلة على عظمتهم من الغيبيات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والكرامات ، ولا اكـون مغاليـاً إذا قلت : ان بامكـان الباحث أن يستخـرج من سيرتهم وآثارهم من الكرامات ما يباهي به عباقرة العصور مهما بلغوا من الشـأن والمكانة .

ولـو كان لغـير الشيعة مثـل علي والأئمـة من بنيه لـملأوا الكون بمفـاخرهم وآثارهم واستخرجوا منها كنوزا من الأسرار والمثل لا تحصى . لقد قال الحفناوي في كتابه الذي وضعه في ابي سفيان ، والشيخ الخضري في محاضـراته : ان قـول الرسول من دخـل دار ابي سفيان فهـو آمن ، لشرف عـظيم لم ينله احد مثله إلى الآن في حين أن كل من يتتبـع سيرة النبي (ص) وأسلوبـه الذي اختـاره في نشر الـدعوة يعلم بـأنه قـالها لمنـاسبة خـاصة وحتى يستـدرج قريشـاً وأهالي مكـة إلى التسليم وعدم اراقة الـدماء ، مـع العلم بأنـه قال في نفس الـوقت من دخل دار حكيم بن حـزام فهو آمن ومن القى سـلاحه فهـو آمن ، ومن دخـل داره وأغلق عليـه بابـه فهو آمن . ومـع كل ذلـك فان شـرف ابي سفيـان لم ينله أحـد عنـد الخضري والحفناوي وغيرهما من شيوخ بعض السنة حتى عـلي بن أبي طالب (ع) الذي قال فيه النبي في عشرات المناسبات ما قال باجماع السنّة والشيعة وقـد حمله على منكبيه يوم ذاك ليحطم الاصنام التي كان يعبـدها أبـو سفيان وظـل يعبدهـا حتى مات كافراً بمحمد ورب محمد (ص) .

ومهما كان الحال فلقد وفقني الله لابراز بعض النواحي من سيـرتهم حسب طـاقتي وامكانيـاتي المحدودة وأحسست بـالغبطة والسعـادة بعد فـراغي منهـا لان سيرتهم تذكر بالله وتحيي النفوس الميتة كما تحيي الأرض وتنبت من كل زوج بهيج بغيث السماء وبمقدار ما يأخذ الانسان من علومهم ويتـأثر بسيـرتهم يأخـذ نصيبه من العظمة والخلود

لقـد برز في كـل عصر مئـات العلماء من شيعتهم تنحني الرؤوس إجـلالاً لقـدرهم ومقامهم ويـرتبط تاريـخ أكثر العلوم بتـاريخهم ، ولم يبلغوا هـذا المقام الرفيع إلا لأنهم تخرّجوا من مدرسة أهل البيت وتأثروا بسيرتهم وتعـاليمهم ولولا ذلك لم يكونوا شيئاً مذكوراً .

ولا أدعي بأني قد جئت بجديد وأحطت بسيرتهم من كل جوانبها وأدركت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أسـرارها وغـوامضها ، لا أدعي ذلـك لأن الإحاطـة بسيرتهم وأسـرارهـا ليست بـالأمر اليسـير على من لم يـدرك واقعهم ولا أحسب أن ادراكـه ميسـور لغـير من اجتباهم الله واصطفاهم من خلقه .

وكل ما أدعيه هو اني قـد كتبت في سيرتهم وحـاولت ابراز بعض نـواحيها وأرجو ان اكون قد وفقت لذلـك ، كما حـاولت أن أختصر جهـدي فاختصـرت حيث وجدت مجالا لذلك ، واضطرتني الأحداث التـاريخية والـظروف السياسيـة التي رافقت حياة بعضهم وتلاعـب المؤرخـين بحقائق التـاريخ وتحـريفه لمصلحـة الحاكمين ، لقـد اضطرني ذلـك إلى الاطالـة احيانـا حيث لم اجد عنهـا بديـلا ، لذلك أخرجته في مجلدين وافتتحت الأول منهـا بالحـديث عن الصديقـة الكبرى الصحابية الأولى خديجة بنت خويلد وفاء لحقها على كل مسلم وتقديـراً لخدمـاتها الجليلة التي قـدمتها لـلإسلام وتضحيـاتها في سبيله بكـل مالهـا وراحتهـا ، وعن الصديقة الزهراء التي ساهمت كأمها في خدمة النبي والإسلام وبذلت كل راحتها في هذا السبيل بعد ان فارقت أمها الحياة ، وصارت بعد ذلـك أمّاً لأكـرم عشرة عرفها التاريخ ، وبعد ذلك دخلت في سيرتهم على التوالي .

واني إذ أقدم اليهم هذه اللمحات من تاريخهم أقدمها وأنا أردد تارة مقـالة أخوة يوسف حينـما وفدوا عليـه بعد أن اجتبـاه الله وأكرمـه بالنبـوة كما حكى الله عنهم في كتابه :

● **﴿ يا أيها العزيز مسّنـا وأهلنا الضـر وجئنا ببضـاعة مـزجاة فـأوف لنا الكيل وتصدّق علينا أن الله يجزي المتصدقين ﴾** .

وأخرى مقالة شاعرهم :

آل بـيت الـنبـي انـتـم غـيـاثـي ... في حـيـاتي وعـدتي لمـعـادي
مـا تـزودت لـلقـيـامـة إلا ... صفـو ودي لكم وحسن اعتقـادي

والحمد لله الذي هدانا لولايتهم وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

المؤلف
هاشم معروف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تمهيد

من المتفق عليه بين المؤرخين والمحدثين أن كلمة أهل البيت الواردة في الكتاب الكريم وسنّة الرسول العظيم في عشرات المناسبات لا تعني خصوص ما لها من المعنى العرفي أو اللغوي ، بل أريد منها معنى أخص من ذلك لا يتعدى عليا وفاطمة ومن تناسل منهما من الأئمة الاطهار عند عامة الشيعة وأكثر محدثي السنّة وعلمائهم ، وعند الفريق الآخر من محدثي السنّة الذين وقفوا بجانب المفهوم العرفي واللغوي وتجاهلوا الظروف والملابسات والقرائن التي احاطت بهذه الكلمة في موارد استعمالها في الكتاب والسنّة والتي تعني ذرية الرسول منها لا غير ، هؤلاء وغيرهم ممن حاولوا تخصيصها بنسائه أو بهم وبغيرهم من آله لم يعتمدوا على منطق معقول أو سنّة مقبولة بل كانوا مسّيرين بدوافع أخرى ليست بعيدة عن التعصب والحقد على أهل البيت وشيعتهم كما هو شأنهم في تحوير وتأويل جميع ما ورد عن النبي (ص) في فضائل علي وبنيه ومصير الخلافة الاسلامية كما سنثبت ذلك بالارقام خلال الفصول الآتية من هذا الكتاب . كما وان الآية الكريمة من سورة الاحزاب التي اشتملت على كلمتي اهل البيت وإن كان موردها الخمسة اصحاب الكساء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (ع) كما فهم منها ذلك اكثر المحدثين والمفسرين لكتاب الله إلا أن استعمال النبي (ص) لهذه الكلمة يعطيها معنى أوسع من ذلك يتسع للائمة الاثني عشر الذين يدين الشيعة بإمامتهم والبراءة من أعدائهم ، فقد جاء عنه أنه قال اكثر من مرة : اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا . وفي رواية ثانية : فانظروا كيف تخلفوني فيهما . فقد قرن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النبي (ص) أهل بيته إلى كتاب الله وجعلهم عدلا لـه يهتدي بهم الحـائرون كـما يهتدون به ويسترشد بهم الضالون كما يسترشدون بأحكامه وتـوجيهاتـه وتعاليمـه ولن يضل المقتدي بهم والموالي لهم لانهم يعكسون في سلوكهم وأقـوالهم وأفعالهم مبادىء القرآن وسنّة الرسول وسيرته ويجسدون الإسلام بكل ما يهدف إليه بدقـة وأمانة واخلاص ، وبلا شك فإن العترة الطاهرة التي قرنها النبي (ص) بـالكتاب ولن يضل المتمسك بها والموالي لها لا تنطبق إلا على الأئمة الاثني عشر الذين نوّه الرسول عنهم في مختلف المناسبات وذكرهم باسمائهم كما جاء في كثير من المرويات عن الأئمة وغيرهم .

ومجمل القول أن القرآن الكريم قد سبق السنّة في استعمال هذه الكلمة في الأقربين من آل النبي (ص) ودريته ولا بد لنا ونحن بصدد الحديث عن سيرة الائمة من اهل البيت من الرجوع إلى مصادر هذه الكلمة في الكتاب والسنّة وما تعنيه ودراسة موارد استعمالها وما أحيط بها من الملابسات دراسة موضوعية بروح بعيدة عن التعصب والهوى لكشف المراد منها .

فقد ورد في الآية رقم ٣٣ من سورة الاحزاب :

● **وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً .**

والخطاب في الآية التي قبلها لنساء النبي (ص) بلا شك في ذلـك ، حيث جاء فيها :

● **يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً .**

كـما وان صدر الآيـة السابقـة والآيات التي بعـدهـا رقم ٣٤ لنسـاء النبي وحـدهن بدليـل نون الإنـاث المقترن بجميـع الأفعال والصيـغ الموجـودة في هذه الآيات، وبهذه الملابسات تكون الفقرة الأخيرة من الآية رقم ٣٣وهي﴿**انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ وكأنها غير منسجمة مع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الآيات التي قبلها وحتى مع صدرها والآيات التي بعدها ، وبلا شك فانها لا تعني زوجاته بل تعني أهل بيته الذين دخلوا معه في كسائه ، ولو كانت تعنيهن لوجب حسب السياق والقواعد الحاق ضميرهن بنون الإناث بأن يقول : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكن الرجس أهل البيت ويطهركن تطهيراً** ﴾ .

هذا بالاضافة إلى أن الآية تنص على أنه قد أذهب عنهم الرجس وطهرهم منه ، والرجس هو كل ما لا يرضي الله سبحانه من الخطايا والذنوب ، والتطهير بهذا المعنى يرادف العصمة وزوجات النبي (ص) لسن بهذا المستوى الرفيع كما أجمع على ذلك المؤرخون والمحدثون فقد أسأن اليه في حياته مرارا حتى اعتزلهن شهرا كاملا وهددهن بالطلاق ووقف على مقربة من حجرة احداهن يوما ومعه جماعة من اصحابه وقال مشيرا بيده إلى حجرتها .**من ها هنا تخرج الفتنة** ، **ومرة** ثانية وقف الى جانب حجرتها وقال : من ها هنا مشيرا اليها **يطلع قرن الشيطان** كما جاء في رواية البخاري جـ ٢ صفحة ١٨٩ .

ومن بقي منهن بعد وفاته لم يكن بالمستوى المطلوب من سائر نساء المؤمنين فضلاً عن نسائه اللواتي اراد منهن أن يكن القدوة الصالحة لغيرهن من النساء كما تنص على ذلك الآيات السابقة إذا استثنينا السيدة الجليلة ام سلمة رضوان الله عليها التي التزمت بيتها وعاشت من بعده زمنا طويلاً مثالاً كريماً للمرأة المسلمة التي وهبت حياتها لله وخير الناس أجمعين . في حين أن غيرها ممن بقين بعده من نسائه قد اشتركن فيما جرى بعده من الفتن والمشاحنات وبالتالي ارادت احداهن أن تكون في عداد الأبطال الذين يديرون المعارك ويستبيحون كل شيء للخروج منها ظافرين بمنتصرين ، فقادت جيشا لحرب إمام المسلمين من المدينة إلى البصرة تستبيح الدماء والأموال ، وكانت تلك المعركة التي كانت ولا تزال من أبرز الأحداث الداخلية الأولى في حياة المسلمين الاوائل ، والتي مهدت لمعاوية بن هند أن يستعصي بمن معه في الشام ويعتصم بها ومن ثم يطمع بالخلافة الاسلامية ويقاتل من اجلها بمن معه ممن غرر بهم وضللتهم مواقف السيدة عائشة في البصرة والمدينة وكانت المعارك الطاحنة في صفين وغيرها التي ذهب ضحيتها عشرات الألوف من المسلمين وأحدثت تحولا في تاريخهم كانت له اسوأ الآثار والنتائج في مختلف الميادين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومجمل القول : ان الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم هم أهل بيت النبي بلا شك في ذلك كما وان اختصاصها بعلي وفاطمة وبنيهما الاطهار قد ذهب اليه عامة الشيعة وأكثر محدثي السنّة ، ولم يذهب احد الى اختصاصها بنساء النبي (ص) . سوى عكرمة مولى عبد الله بن عباس ، وليس ذلك بغريب عليه بعد ان اشتهر بالكذب ووضع الاحاديث ، وتبنى افكار الخوارج ودعا اليها في المغرب العربي كما تنص على ذلك المصادر التي تعرضت لتاريخه وهو المؤسّس الأول لمذهب الأزارقة من الخوارج في تلك البلاد الذي كان ولا يزال حتى اليوم وكان قد استغل ملازمته لعبد الله فنسب إليه جميع موضوعاته حتى اضطر ولده علي بن عبد الله إلى جلده وحبسه في الكنيف كما جاء ذلك في تاريخ حياته .

كما روي نزولها في نساء النبي مقاتل وهو من فصيلة عكرمة ومن المعروفين بالنصب والعداء لعلي وآله ، وقد عده النسائي من الكذابين المعروفين بوضع الأحاديث ، وقال الجوزجاني كما في ترجمته في ميزان الاعتدال : كان مقاتل كذابا جسورا يقول لأبي جعفر المنصور انظر ما تحب أن أحدثه فيك حتى أحدثه .

وقال للمهدي العباسي : ان شئت وصفت لك احاديث في العباس قال لا حاجة لي فيها . وإذا كان هو وزميله عكرمة بهذا المستوى عند المحدثين فالأمر في رأيهما وروايتهما لا يحتاج لاطالة الحديث وبخاصة إذا كان حديثهما عن علي وبنيه ، ومن ذلك تبين ان اختصاص الآية بنساء النبي لا مصدر له على ما يبدو من المصادر المعدة لهذه المواضيع الا عكرمة ومقاتل وهما من غير الموثقين حتى عند علماء السنّة ومحدثيهم ، والقولان الرئيسيان فيها هو أنها هل تعني النبي وعليا وفاطمة والحسنين لا غير كما أجمع على ذلك الشيعة وجمع كبير من متحدثي السنّة ، أو انها تعني بالاضافة اليهم نساءه كما ذهب إلى ذلك جماعة من محدثي السنّة ومفسريهم .

وإلى جانب هذه الأقوال أقوال اخرى منها أن المراد بأهل البيت في الآية جميع بني هاشم ، ونسب ابن حجر الهيثمي في صواعقه هذا القول إلى الثعلبي وأيده بحديث وصفه بالحسن جاء فيه أن النبي (ص) اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال : يا ربي هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء أهل بيته فاسترهم من النار

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كستري اياهم بملاءتي ، ومضى يقول : والحاصل أن أهل بيت السكن داخلون في الآية لانهم المخاطبون بها (يعني بذلك أزواجه) ، ولما كان شمولها لاهل بيته النسبيين ليس واضحاً بيّن بما فعله أن المراد بأهل البيت ما يشمل جميع بني هاشم .

هذه الرواية التي اعطت لاهل البيت معنى يتسع لعترته ونسائه وحتى للعباس بن عبد المطلب وبنيه وجاء فيها أن النبي (ص) حينما جمعهم ودعا لهم بالنجاة من النار أمن سقف البيت وحائطه ثلاثا ، هذه الرواية ونظائرها بالرغم من ضعف أسانيدها ومخالفتها للروايات الكثيرة التي اعتمدتها صحاح أهل السنّة ومجاميعهم الموثوقة يبدو عليها الوضع والكذب فان نساءه وأقاربه من بني هاشم لم يكن لهم ميزة على غيرهم من سائر الناس ، وحسبها وهنا أن احداً من بني العباس لم يستدل بها في مقابل خصومهم العلويين وغيرهم ، مع ما فيها من الشرف العظيم لو صح نزولها فيهم ، هذا بالاضافة إلى أنه (ص) قبيل وفاته استدعى العباس وبني هاشم وتحدث اليهم بما لا يدع لهم امتيازا على احد من المسلمين ومضى يوصيهم بأن لا يستغلوا نسبهم القريب من رسول الله للاستعلاء على الناس والتفاخر به لان الانساب والاحساب لا تغني عنهم من الله شيئاً كما جاء في كثير من وصاياه لاهله وأسرته .

وقال الرازي في تفسير الآية : ان الله سبحانه ترك خطاب المؤنثات وخاطب بخطاب المذكرين بقوله : ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ليدخل فيه نساء أهل بيته ورجالهم وأضاف والأولى أن يقال : هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم وعلي منهم لأنه كان من أهل بيته بسبب معاشرته بنت النبي وملازمته له[1] .

وممن رجح شمولها لازواجه وعلي وفاطمة وبنيها ابن كثير في تاريخه وغيره ، ونقل الطبرسي في تفسيره مجمع البيان عن ابي سعيد الخدري ،

---

(١) انظر جزء ٢٥ من تفسير الرازي ص ٢٠٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وانس بن مالك ووائلة بن الأسقع وعائشة وأم سلمة ان الآية مختصة برسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، وأضاف إلى ذلك أن أبا حمزة الثمالي في تفسيره نقل عن شهر بن حوشب أن أم سلمة قالت : جاءت فاطمة إلى النبي (ص) تحمل حزيرة فقال لها ادعي زوجك وابنيك فجاءت بهم فطعموا ، ثم القى عليهم كساء له خيبريا فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم وتطهيرا ، فقلت يا رسول الله وأنا معهم فقال انت الى خير ، ومضى يقول : ان الثعلبي في الدر المنثور روى بالاسناد إلى أم سلمة ان النبي (ص) كان في بيتها فأتته فاطمة (ع) ببرمة فيها حزيرة ، فقال لها : ادعي زوجك وابنيك فدعتهما فأنزل الله تعالى ﴿**انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**﴾ . وروي عن مجمع أنه قال دخلت مع امي على عائشة فسألتها امي عن خروجها على علي (ع) يوم الحمل فقالت : انه كان قدرا من الله ثم سألتها عن علي (ع) فقالت تسأليني عن أحب الناس لرسول الله وزوج أحب الناس اليه ، لقد رأيت عليا وفاطمة والحسن والحسين وقد جمعهم رسول الله تحت ثوب وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، فقلت يا رسول الله وأنا من أهلك فقال تنحي فإنك إلى خير .

كما روى جماعة من المحدثين بسند ينتهي إلى جابر بن عبد الله الانصاري انه قال نزلت الآية على النبي (ص) وليس في البيت سوى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال النبي (ص) اللهم هؤلاء أهلي .

وجاء في صحيح مسلم المجلد الثاني ص١١٦ أن عائشة قالت : خرج النبي (ص) غداة يوم وعليه مرط مرحل من برود اليمن من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه وجاء علي وفاطمة فدخلا معهما ، فقال النبي (ص) **انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**، كما جاء في تفسير الطبري والبحر المحيط للأندلسي، والتسهيل للحافظ وغيرها من التفاسير بأسانيدهم الكثيره إلى السيدين عائشة وأم سلمة وأبي سعيد الخدري وجابر بن عبد وغيرهم من ثقاة الصحابة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن الآية نزلت في الخمسة النبي وعلي وفاطمة والحسنين ، واكد هذه الحقيقة كل من الترمذي في صحيحه وأحمد بن حنبل في مسنده والحاكم في مستدرك الصحيحين ، وابن الاثير الجزري في اسد الغابة ، والمتقي في كنز العمال ، والبيهقي في سننه ، والطحاوي في مشكل الآثار ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ، والنسائي في خصائصه ، والمحب الطبري في الرياض النضرة ، والهيثمي في مجمع الزوائد ، والحافظ أبو القاسم الدمشقي في الموافقات والأربعين الطوال ، وأبو داود الطيالسي في مسنده ، وغير هؤلاء من المحدثين الذين نصوا على نزول الآية في النبي وعلي وفاطمة وبنيهما ، وان المتتبع في مصادر الحديث ومجاميعه السنية والشيعية يخرج وهو مرتاح النفس إلى أن الآية الكريمة لا تعني نساءه وعمومته وعصبته ، بل تعني عترته وأهل بيته الذين عناهم بقوله في مختلف المناسبات : اني مخلف فيكم ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي .

ويبدو من الموارد الكثيرة التي كان يتلو فيها الآية أنه كان يحاول أن يقطع الطريق على كل مدع لدخوله في أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس من نسائه وعصبته ، فقد جاء عن أبي الحمراء أنه قال : لازمت رسول الله ثمانية اشهر في المدينة ليس من مرة يخرج إلى صلاة الغداة إلا اتى باب علي (ع) فيضع يده عليه ويقول الصلاة الصلاة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا .

وجاء عن عبد الله بن عباس انه قال شهدت رسول الله (ص) ستة اشهر كان يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب في أوقات الصلاة ويقول السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا .

واختصاصها بالنبي وعلي وفاطمة وبنيهما لا يتنافى مع ورودها في ضمن الآيات التي كان الخطاب فيها لنساء النبي (ص) ففي القرآن الكريم أكثر مِنْ شاهد على عدم التقيد بالسياق والالتزام به ، وقد نقل صاحب تفسير المنار عن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

استاذه الشيخ محمد عبده في المجلد الثاني ص ٤٥١ ان من عادة القرآن ان ينتقل بالانسان من شأن إلى شأن آخر ثم يعود إلى مباحث المقصد الواحد المرة بعد المرة .

وقال الطبرسي في مجمع البيان ما مضمونه أن من عادة العظماء في خطاباتهم أن يذهبوا من خطاب إلى غيره ثم يعودون لما كانوا يتحدثون عنه ، وأضاف إلى ذلك أن القرآن مملوء من ذلك وكذلك كلام العرب وأشعارهم .

وجاء في رواية عن الإمام الصادق (ع) أن الآية من القرآن يكون أولها في شيء وآخرها في شيء آخر .

فالسياق وحده لا يجب الاعتماد عليه كقاعدة عامة بالنسبة إلى القرآن الكريم بعد الذي نراه من عدم التقيد به في الغالب ، فلا بد من الرجوع إلى كل آية بمفردها وما قيل فيها من التفاسير التي تنسجم مع منطوقها أو ظاهرها ، ويتعين الأخذ بما صح عن النبي (ص) أو احد الأئمة في تفسيرها حتى ولو خالف السياق أو الظاهر أحيانا .

وقد استدل بها اكثر المحدثين والمفسرين على عصمة أهل البيت من الذنوب بما حاصله انه يستفاد من كلمة انما في موارد استعمالها التأكيد والاصرار على وقوع ما بعدها والارادة الواقعة بعدها لا بد وأن يتبعها التطهير من الذنوب الذي تعنيه كلمة الرجس ، ذلك لأن الارادة المطلقة لا تختص بأهل البيت من بين سائر الناس فلا يبقى لهم ميزة على غيرهم فيما لو أريد منها ذلك ، وقد جاءت الآية الكريمة لبيان فضلهم على من سواهم ، ولا يتم ذلك إلا إذا تحقق المراد وهو عين العصمة التي يدعيها الشيعة للنبي والزهراء والأئمة الاطهار ، وقد أيد هذه الحقيقة محي الدين المعروف بابن العربي في كتابه الفتوح المكية جـ ١ ص ١٩٦ من الطبعة القديمة ، فلقد جاء فيه أن الله سبحانه طهر نبيه وأهل بيته بدليل قوله تعالى : ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ ، والرجس في اللغة الشيء القذر ولا شيء أقذر من الذنوب ، ومضى يقول : وعليه فلا يضاف لأهل البيت الا مطهر مقدس ، بل هم عين الطهارة ، وأضاف إلى ذلك أن سلمان الفارسي معصوم من الذنوب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أيضاً لأن أهل البيت معصومون بشهادة الله سبحانه ، وقد ثبت عن رسول الله (ص) أنه قال : سلمان منّا أهل البيت فيكون معصوماً بشهادة الله ورسوله .

وقال في الجزء الثاني من كتابه الفتوحات ص ١٢٧ : لا يبقى في النار موحد ممن بعث اليه رسول الله لأن النار تكون على الموحدين بردا وسلاما ببركة أهل البيت عليهم السلام .

ومما يؤكد نزول الآية في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، ما رواه مسلم في صحيحه بأسانيد مختلفة تنتهي إلى الصحابي الجليل زيد بن ارقم ، وجاء فيما روي عنه أنه سئل عن شمول الآية لنساء النبي (ص) فقال لا وأيم الله أن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ، ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها ، وأهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة من بعده .

ومن الآيات التي تشير إلى قداسة أهل البيت وحتى عصمتهم وتأمر بإطاعتهم الآية من سورة النساء : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً** ﴾ .

وقد قرب الفخر الرازي في تفسيره جـ ١٠ ص ١٤٤ دلالتها على عصمة أولي الأمر فقال أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية ، ومن أمر بطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بد وأن يكون معصوماً من الخطأ ، إذ لو لم يكن معصوماً من الخطأ وقدر إقدامه عليه يكون الأمر بإطاعته أمراً بفعل ذلك الخطأ ، والمفروض أن الخطأ منهي عنه ، وهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد وذلك محال عليه تعالى ، وبذلك يثبت أن كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم لا بد وأن يكون معصوماً .

والشيعة يتفقون مع الرازي في وجوب عصمة أولي الأمر لا سيما وقد قرن أولي الأمر بالله والرسول من ناحية اطاعتهم والتسليم لأمرهم وبلا شك فأن الرسول معصوم عن الذنوب في جميع حالاته ، فلا بد وأن تكون لأولي الأمر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذه الميزة على من سواهم من الناس ، ومن غير المعقول أن يأمر الله بإطاعتهم بهذا الأسلوب ومن غير تقييد مع صدور الخطأ منهم ومع أن الشيعة يتفقون مع الرازي في النتيجة التي انتهى إليها من هذه الآية ولكنهم يختلفون معه في المراد من أولي الأمر ، فهو يدعي أن المراد من أولي الأمر المعصومين من الخطأ هم أهل الحل والعقد من المسلمين بالتقريب التالي ، وحاصله أنه لا يمكن ارادة الإمام المعصوم من أولي الأمر كما تدعيه الروافض على حد تعبيره لأن اطاعته والرجوع اليه في مشاكل الحياة مشروطة بمعرفته والتمكن من الوصول إليه وهم يعترفون بغيبته وعدم التمكن من الوصول إليه والتكليف بإطاعته والحال هذه لا يغني شيئاً ، فلا بد وأن يكون المراد بأولي الأمر غير ما تدعيه الشيعة ، وليس ذلك إلا جماعة المسلمين من أهل الحل والعقد .

ومضى يقول : إن في الآية ما يدفع دعوى الشيعة ، ذلك لأن الله تعالى أمر بطاعة الله والرسول وأولي الأمر بأسلوب واحد ولفظ واحد ، واللفظ الواحد لا يجوز أن يكون مطلقاً ومشروطاً ، لأنه بالنسبة إلى الله والرسول مطلق ، وبالنسبة إلى أولي الأمر لا بد وأن يكون مشروطاً بمعرفتهم والتمكن من الوصول إليهم .

هذا أولاً ، وثانياً أن الله أمر بطاعة أولي الأمر وأولي الأمر جمع ، وعند الشيعة لا يكون في كل زمان إلا إمام واحد ، وإرادة الفرد من الجمع خلاف الظاهر، وثالثاً أن الله يقول: ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**﴾ ولو كان المراد بأولي الأمر الإمام كما يدعيه الروافض لوجب أن يقول فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الإمام ، لأنه يعبر عن الله والرسول بزعمهم ، وانتهى اخيراً إلى القول بأن الحق في تفسير الآية ما ذكرناه لا ما ذكره الروافض وغيرهم .

والذي ينبغي أن يقال في تفنيد رأي الرازي ، هو أن المستفاد من الآية أن أولي الأمر هم الذين بلغوا مرتبة من العلم والدين لا يجوز عليهم معها افتراض الخطأ والانحراف عن الحق لا سيما بعد أن قرن الله طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله ، وأهل الحل والعقد المجمعون على أمر من الأمور مهما بلغوا من الكثرة لا يتصور في حقهم أن يكونوا بهذا المستوى ، إلا إذا اتفقت الأمة كلها بحيث لم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يشذ منها أحد ، والاجماع عندهم لا يتوقف على استقطاب رأي الأمة بكاملها واتفاقها على رأي واحد ، بل ينعقد بالخمسة والستة وبالاقل من ذلك كما تصرح بذلك كتبهم ومؤلفاتهم في هذا الموضوع .

ومن المعلوم أن أهل السنّة الذين اعتبروا الاجماع من أصول التشريع التي لا يجوز مراجعتها ولا التشكيك فيها ، وتساهلوا فيه إلى هذه الحدود لم تكن غايتهم من ذلك إلا تصحيح خلافة ابي بكر التي اتفق عليها عمر بن الخطاب ونفر قليل غيرهما من المهاجرين والأنصار في بداية الأمر ، في حين أن المخالفين والمعارضين كانوا من سراة المسلمين وأكثر من المجمعين عليه ومعهم علي (ع) الذي قال فيه النبي (ص) في حديث متفق عليه بين السنّة والشيعة علي مع الحق والحق معه يدور كيفما دار ، وقد جعله في حديث الثقلين عدلا للقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وفي حديث آخر جعله كسفينة نوح لا ينجو من غضب الله وسخطه غير المتمسك بها .

وما أكثر الاخطاء التي ارتكبها المجمعون من المسلمين بالمعنى الذي ذكروه للاجماع ، تلك الاخطاء التي كان لها أثرها السيء على مصير المسلمين في تاريخهم الطويل ولا يزال المسلمون يعانون من أخطارها حتى اليوم .

وبلا شك فإن الرازي يعرف ذلك جيداً ويعلم أن أولي الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس والذين عناهم في حديث الثقلين وغيره من النصوص الكثيرة التي أشادت بفضلهم وحثت على ولائهم والسير على خطاهم والاعتصام بهم ولكن العلم شيء والتجرد للحق وللحقيقة حتى ولو خالف ما نشأ عليه وورثه من الآباء والاجداد شيء آخر .

على أن قوله : إن طاعتهم مشروطة بمعرفتهم والتمكن من الوصول إليهم ، والتكليف بإطاعتهم بدون ذلك تكليف بما لا يطاق إلى آخر كلامه ، هذا القول في منتهى الغرابة من عالم كالرازي ، إذ لازمه أن تتحول جميع القضايا المطلقة إلى قضايا مشروطة ، ذلك لأن كل حكم يتوقف أمثاله على معرفة متعلقة ، فامتثال أوامر الصلاة والصيام والزكاة لا يمكن أن يحصل بدون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

معرفة هذه الموضوعات ، فلو اعتبرنا معرفة المتعلق شرطاً كما يدعي الرازي لزم ان يكون الوجوب مشروطاً ، وذلك لا يعدو أن يكون من الخلط بين مقومات الوجوب ومقومات الوجود ، ومن غير المعقول أن يتمكن المكلف من الامتثال بدون معرفة المتعلق المأمور به ، ولكن ذلك لا يعني أكثر من كونه شرطاً لامتثال التكليف لا لأصله كما هو الشأن في أكثر المقومات التي يتوقف عليها الامتثال ، وقد التزم أكثر الاصوليين بوجوب تحصيل هذا النوع من المقدمات ، في حين أنه لم يلتزم احد بوجوب تحصيل مقدمات الوجوب ، ذلك لأن الوجوب قبل حصولها غير موجود لكي يتولد منه وجوب تحصيل مقوماته ، وإنما يتحقق الوجوب بعد وجودها ، وبعد وجودها لم يعد لوجوبها أي فائدة للزوم تحصيل الحاصل .

هذا بالاضافة إلى أن معرفة المتعلق للتكاليف لا يمكن أخذه شرطاً للتكليف بما هو متعلق له لتأخره رتبة عنه وأخذه شرطاً له يستدعي تقدمه ، وتقييد المتقدم في المتأخر يقضي بكون المتأخر متقدم في واحد .

على أن الملاحظة التي أبداها الرازي على ما يدعيه الشيعة وبعض محدثي السنّة بعينها واردة على النتيجة التي انتهى إليها وهي تفسيره لأولي الأمر بإجماع الأمة على حد تعبيره ، لأن إجماع أهل الحل والعقد أو إجماع الأمة لا بد من معرفته ، وبلا شك أن معرفتهم أشق وأعسر من معرفة فرد أو أفراد في أزمنة متفاوتة ، لأن الاجماع هو اتفاق الكل أو أهل الحل والعقد ، وليس من السهل استقراؤهم والاطلاع على آرائهم فيلزمه على منطقه في إيراده على الشيعة ومن تبعهم من محدثي السنّة تقييد وجوب الاطاعة بمعرفة المجمعين ، وبالاضافة إلى تعسر هذا الشرط يكون وجوب الاطاعة مقيداً بحصوله ، وقبله لا وجوب وبعده يكون التكليف به من باب تحصيل الحاصل كما ذكرنا في تقريب أشكاله على من أسماهم بالروافض .

والشيء الغريب في كلامه دعواه العجز عن الوصول إلى الأئمة ومعرفة آرائهم ، ووجه الغرابة في ذلك هو أن إطاعة الله والرسول وأولي الأمر لا تعني إلا الرجوع إلى ما يقولون ويرتأون ولا يتوقف ذلك على الاتصال بأشخاصهم ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومعرفة أقوالهم وآرائهم ليست بذلك الأمر العسير بعد توفر الادلة على معرفتهم ومعرفة آرائهم في جميع المشاكل بواسطة من أخذوا عنهم من الرواة الموثوقين ممن عاصرهم أو اتصل بمعاصريهم ، وقد دأب الشيعة في أصولهم وفقههم على الرجوع إلى رواة أحاديثهم لا سيما بعد الغيبة التي أصبح الاتصال فيها بالإمام متعذراً على أي كان من الناس ، وحتى في عصر الظهور لم يكن الاتصال بهم مباشرة ميسوراً لكل إنسان ، فالبعيد عنهم كان يرجع إلى رواة أحاديثهم وبعد الغيبة خلال تلك القرون فالمرويات في مجاميع الحديث التي تنتهي بأسانيدها إلى النبي والأئمة (ع) هي المصدر بعد كتاب الله لكل ما ينسبه الشيعة من الاحكام والآراء إلى النبي والأئمة الهداة من أهل بيته الذين تعنيهم هذه الآية وغيرها من الآيات والمرويات عن الرسول (ص) كحديث الثقلين وغيره مما لا يقبل التفسير بغير الأئمة إلا بعد التأويل والتحوير البعيدين عن ظاهر تلك الآيات والروايات وما أحيط بها من القرائن والملابسات .

والجواب عن الاشكال الثاني الذي وجهه الرازي على الشيعة والذي جاء فيه أن أولي الأمر من صيغ الجمع وعند الشيعة لا يكون في الزمان الواحد إلا إمام واحد ، وحمل الجمع على الفرد خلاف الظاهر . ومحصل الجواب عن هذا الايراد ، إن الظاهر من هذا النوع من العمومات هو العموم الاستغراقي الذي لا يشترط فيه اجتماع أفراده كلهم في وقت واحد ، فإذا قال القائل : أكرم العلماء فيصح هذا الحكم منه ولو كان وجود العلماء مترتباً بحسب الزمان ، فهو أشبه بما يسميه الاوصوليون بالقضايا الحقيقية التي يكون الحكم فيها متجهاً إلى الأفراد ما وجد منهم وما سيوجد ، كما هو الشأن في أكثر العمومات القرآنية ، نعم لا بد وأن يكون لأولي الأمر عدد يصح معه التعبير بصيغة الجمع سواء كان ذلك على التعاقب أو حين صدور الخطاب ، وهذا الشيء موفور لدى الشيعة الإمامية .

والجواب عن الايراد الثالث من الاشكالات التي وجهها الرازي على الشيعة ، والذي جاء فيه أن الآية لو كانت تعني أئمة الشيعة لوجب أن يقول فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الامام لأنه يعبر عندهم عن الله والرسول ، مع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن الفقرة الثانية من الآية نصت على وجوب رده إلى الله والرسول لا غير . ومحصل الجواب أن عدم اشتمال الفقرة الثانية من الآية على ذكر أولي الأمر لا يخل بالمراد لجواز الحذف في الكلام اعتماداً على ذكر المحذوف في الفقرة الأولى الذي يغني عن إعادة ذكره ، بل يكون الحذف في بعض الأحيان من محسنات الكلام، وبعد أن فرضت الآية إطاعة الله والرسول وأولي الأمر لم يعد من موجب لذكر أولي الأمر . ثانياً لا سيما بعد أن قال في الآية الثانية ولو ردوه إلى الرسول وأولي الأمر لعلمه الذين يستنبطونه منهم[1] .

ومجمل القول أن الآية تدل بمنطوقها على وجوب إطاعة الله والرسول وأولي الأمر ولكنها بمنطوقها ليست صريحة في الأئمة من أهل البيت ، فلا بد من الخروج عن نطاق الآية لمعرفة من هم أولئك الذين اقترنت إطاعتهم بإطاعة الله ورسوله ، وقد اعتمد الشيعة على مجموعة من الأدلة منها ما يدل على المراد بظهوره ومنها ما يدل عليه بواسطة القرائن والملابسات التي تحيط به ، فمن ذلك آية التطهير التي تحدثنا عنها وحديث الثقلين الصريح في أن المتمسك بعترة النبي كالمتمسك بالكتاب لن يضل أبداً ، والحديث الذي شبه فيه أهل بيته بسفينة نوح ، ومن المعلوم أن جهات الشبه بينهما مردها إلى أن من يتولاهم ويعتصم بهم ويسير على خطاهم ينجو من العذاب والعقاب كما نجا من كان مع نوح من الغرق .

وأحاديث : الأئمة الاثني عشر كلهم من قريش ، التي نص بعضها على أنهم من ولد علي وفاطمة بعددهم وأسمائهم فرداً فرداً ، وحديث : أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء ، إلى كثير من الآيات والروايات التي تدل بمجموعها دلالة قاطعة على أن أولي الأمر في الآية وعترته وأهل بيته في بقية الأحاديث هم الأئمة الاثنا عشر من عترته لا غيرهم من أصحابه وعصبته لعدم توفر المؤهلات المطلوبة في هؤلاء وغيرهم من الناس .

وقد حاول جماعة من مؤلفي السنَّة أن يطعنوا في دلالة تلك الأحاديث على

---

(١) انظر الجزء العاشر من الرازي ص ١٤٥ و ١٤٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما تدعيه الشيعة بعد أن وجدوا أن اسانيدها لا تقبل المراجعة ، فقالوا بأن تلك الأحاديث ليست نصاً على إمامة الاثني عشر ولا ظاهرة فيهم ظهوراً تطمئن إليه النفس ، ومن هؤلاء الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه الامام الصادق (ع) ص ١٩٩ .

وقد جاء فيه : وبعد التسليم بصحة اللفظ أي لفظ العترة في حديث الثقلين دون لفظ سنّتي الذي رجح أبو زهرة روايته على رواية عترتي ، فقد قال بأن لفظ عترتي على تقدير وروده في حديث الثقلين فلا يعين من ذكروهم من الأئمة المتفق عليهم عند الإمامية الفاطميين ، بل هو لا يعين أولاد الحسين دون أولاد الحسن كما لا يعين واحداً من هؤلاء بهذا الترتيب ، وكما لا يدل على أن الامامة تكون بالتوارث لا يدل على الامامة السياسية ، وإنه أدل على إمامة الفقه والعلم من كل ذلك . وهذا الكلام وجيه في ذاته فإن جميع القضايا لا تشخص موضوعاتها ، ولكن بعد القرائن والمناسبات التي أحيطت بتلك الأحاديث لم يعد بعد أخذها بعين الاعتبار مجال للتردد فيما تعنيه من كلمتي أهل البيت والعترة ، وقد جاء في ملابسات آية التطهير أن النبي (ص) بعد أن جمع علياً وفاطمة والحسنين (ع) تحت كساء خيبري تلا الآية ، كما وأن حديث الثقلين وسفينة نوح وغيرهما مما اشتمل على كلمتي أهل البيت أو العترة وجعلهما كالكتاب تارة وكسفينة نوح أخرى وأمان لأهل الأرض ثالثة لا بد وأن يرادفها من بلغ أعلى درجات العلم والدين من أهل بيته وعترته وليس ذلك غير الأئمة (ع) وبلا شك فإن المسلمين الأوائل كانوا يعرفون من يعنيه النبي (ص) من أهل بيته وعترته لا سيما وقد شاهدوه خلال تسعة شهور يقف في أكثر الأيام على باب علي وفاطمة ويقول: **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**، كما جاء في رواية عبد الله بن العباس وغيره ، كما شاهدوه يخرج إلى المباهلة وليس معه غير علي وفاطمة وولديها وهو يقول : اللهم هؤلاء أهلي كما جاء في صحيح مسلم ج ٧ ص ١٣١ والترمذي والحاكم في المستدرك وغيرها من المصادر السنية .

وكما ذكرنا في مطلع حديثنا عما تعنيه هذه الكلمة أن النبي (ص) قد استعملها في أكثر من مناسبة في معرض التنبيه والتنويه بفضل عترته ، فقد جاء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فيما رواه جماعة من المحدثين بأسانيدهم إلى زيد بن أرقم ، وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري ، والسيدة عائشة ، وأبي ذر ، وحذيفة بن أسيد ، وغيرهم من الصحابة أن النبي (ص) قال : أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وجاء في أكثر النصوص أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض . وروى بعض الصحابة عنه أنه كان يقول في بعض المناسبات : أن الله سائلكم عن اثنتين عن القرآن وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما .

وفي رواية أخرى عنه أنه لما نزل الجحفة في طريقه إلى المدينة من حجة الوداع وقف خطيباً فيمن كان معه من المسلمين فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إني لا أجد لنبي إلا نصف عمر الذي قبله ، وإني يوشك أن أدعى فأجيب ، ومضى يقول : أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق والنار حق ، قالوا نشهد بذلك ، فرفع يده ووضعها على صدره ، ثم قال : وأنا أشهد معكم فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين ، فناداه مناد وما الثقلان يا رسول الله ، فقال كتاب الله طرف بيد الله وطرف بأيديكم وعترتي أهل بيتي ، وأن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم . ثم أخذ بيد علي (ع) وقال من كنت أولى به من نفسه فعلي وليه إلى غير ذلك من الصيغ المختلفة التي روي بها الحديث الذي أوصى به النبي بالتمسك بكتاب الله وعترته من أهل بيته .

وبلا شك فإن هذا الاختلاف لا يوجب وهنا في الحديث المذكور ما دام الاختلاف ناتجاً عن صدوره من النبي (ص) أكثر من مرة حسب المناسبات مع وحدة المضمون[1] ، ويكاد أن يكون متواتراً في معناه لكثرة من رواه من الصحابة

---

(١) فلقد روى جماعة عنه أنه قال ذلك في حجة الوداع بعرفة ، ورواه عنه آخرون في غدير خم وفي خطبة خطبها بعد رجوعه من الطائف ، وفي مرضه الأخير وحوله جمع غفير من أصحابه كما نصت على ذلك طائفة أخرى من المرويات إلى كثير من مواقفه التي كان يستغل فيها المناسبات ليؤكد على المسلمين حق أهل بيته وحرمتهم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وغيرهم .

وجاء في فيض القدير عن السمهوري أن الذين رووه عن النبي من الصحابة يزيدون على عشرين صحابياً ، وأكد ذلك ابن حجر في صواعقه .

وممن رواه من المحدثين مسلم في صحيحه بأسانيد متعددة ، والترمذي ، والنسائي ، والحاكم في المستدرك ، وأحمد في مسنده ، وابن سعد في طبقاته ، وأبو نعيم في حلية الأولياء ، وابن الأثير الجزري في أسد الغابة ، والمتقي في كنز العمال ، والهيثمي في مجمع الزوائد ، والمناوي في فيض القدير ، وابن جرير في تاريخه ، والمسعودي في مروجه ، وابن هشام في سيرته ، وابن كثير في بدايته ، إلى غير هؤلاء من المحدثين والمؤرخين الذين دوّنوه ووصفوه بالصحة حتى على شرط الشيخين على حد تعبير الحاكم في مستدركه .

وجاء في صواعق ابن حجر طبع شركة الطباعة الفنية في القاهرة ، لقد سمّى رسول الله (ص) القرآن وعترته ثقلين ، لأن الثقل كل نفيس خطير ومصون وهذان كذلك لأن كلا منهما معدن للعلوم الدينية والأسرار والحكم العلية والأحكام الشرعية ، ولذا حث رسول الله (ص) على الاقتداء والتمسك بهم والتعلم منهم وقال : الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت وأضاف إلى ذلك وقيل سمّيا ثقلين لثقل رعاية حقوقهما ومضى يقول : والذي حث على التمسك بهم هم العارفون بكتاب الله وسنّة رسوله ، إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب ، ويؤيده الجزء السابق ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم ، وتميزوا بذلك عن بقية العلماء لأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وشرفهم بالكرامات الباهرة ، والمزايا المتكاثرة ، واستطرد يقول : إن أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت تشير إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة كما هو الحال في الكتاب العزيز .

وبلا شك فإن أهل بيته الذين جعلهم النبي (ص) أحد الثقلين ولن يفترقا عن القرآن ولا يضل المتمسك بهم هم الذين عنتهم الآية من سورة الاحزاب إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ولم تتوفر هذه المزايا إلا بعلي وفاطمة والأئمة من بنيهما ، لأنهم هم الذين كانوا يعكسون نصوص

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القرآن وأوامره ونواهيه ووصاياه في سيرتهم وسلوكهم في جميع مراحل حياتهم ، وليس باستطاعة أحد حتى ولو استبد به الحقد والهوى أن يجد في تاريخهم الطويل ولو خدشة تمس تاريخهم الحافل بالجهاد والتضحيات الجسام ، والعمل في سبيل الله وخير الناس جميعاً بلا استثناء ، وكما جعلهم عدلاً لكتاب الله الذي لا يضل من تمسك به وأمر بإطاعة الله ورسوله وإطاعتهم ، شبههم في حديث آخر بسفينة نوح التي لم ينج من عقابه إلا من ركبها أو تمسك بها ، ومقتضى التشبيه أنهم الباب الوحيد إلى النجاة من الهلكة والضلال كما كانت السفينة يوم ذاك هي السبيل الوحيد للنجاة من الغرق .

فقد جاء في المجلد الأول من مستدرك الصحيحين بسنده إلى حنش الكناني أنه قال : سمعت أبا ذر يقول : وهو آخذ بباب الكعبة أيها الناس من عرفني فأنا من عرفتم ومن أنكرني فأنا أبو ذر سمعت رسول الله (ص) يقول : مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا من تخلف عنها غرق .

وقد روى هذا الحديث بهذه الصيغة أو بما يقرب منها مع الاتفاق في المعنى كل من المتقي في كنز العمال ، وعلي بن سلطان في مرقاته ، والبزاز الطبراني ، وأبو نعيم في الحلية ، والمحب الطبري في ذخائره ، والبغدادي في تاريخه ، والسيوطي في الدر المنثور ، والمناوي في كنوز الحقائق ، والهيثمي في مجمع الزوائد ، وابن حجر في صواعقه ، وغير هؤلاء من المؤرخين والمحدثين ممن لا يسعنا استقصاؤهم ، ورواه الرواة بأسانيد مختلفة ومتعددة وأكثرها ينتهي إلى أبي ذر وابن عباس وأنس بن مالك وأبي سعيد الخدري وعلي بن أبي طالب (ع) كما جاء في كنز العمال ج ١ ص ١٩٠ .

ويبدو من الروايات الكثيرة المنتشرة في مجاميع الحديث السنية والشيعية أن النبي (ص) كان يحاول بمختلف الأساليب أن يهيء تلك الفئة الصالحة من عترته لقيادة الأمة ويلفت أنظار المسلمين إلى الرجوع إليهم فيما يعترض حياتهم من المشاكل والأحداث ما كان منها يتعلق بأمور الدين أو الدنيا ، فمرة كان يشبههم بسفينة نوح وأخرى بباب حطة فيقول : إنما مثل أهل بيتي فيكم كباب حطة في بني اسرائيل من دخله كان آمناً من عذاب الله ، ومرة ثالثة كان يشبههم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بنجوم السماء ، فيقول : النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي من الضلال والهلاك ، إلى غير ذلك من الأحاديث التي تؤكد بمجموعها وملابساتها وظروفها أنه كان في منتهى الحرص على أن تبقى القيادة من بعده بأيد أمينة صالحة مخلصة لكي تتابع المسيرة التي بذل في سبيلها كل راحته وإمكانياته واستطاع بعد جهود مضنية وشاقة أن يقطع بها أشواطاً واسعة إلى الامام في بضع سنوات معدودات ، وفي الوقت ذاته فإن تلك المواقف التي وقفها من أهل بيته وعترته توحي بأنه كان يتخوف من أن تلعب الاهواء والاحقاد دورها البالغ بعد وفاته وتقودهم إلى التنكيل بأهل بيته والصلحاء من أتباعهم وشيعتهم قتلاً وتشريداً وإمعاناً في البغي والفساد في الأرض .

وجاءت الآية من سورة الشورى لتؤكد على الأمة بأن الوفاء لمحمد والعرفان لجميله هو مودة قرباه وأهل بيته وحفظهم بعد وفاته حيث تقول :

قل لا أسألكم أجراً إلا المودة في القربى ، وقد جاء في الكشاف للزمخشري وهو يتحدث عن معطيات هذه الآية أن رسول الله قال : من مات على حب آل محمد مات شهيداً ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ، ألا ومن مات على حب آل محمد بشّره ملك الموت ومنكر ونكير بالجنة وفتح الله له في قبره بابين اليها ، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله ولم يشم رائحة الجنة .

وأضاف إلى ذلك الفيروز أبادي في كتابه فضائل الخمسة أن الفخر الرازي في تفسيره الكبير وهو يفسر هذه الآية نقل ما تقدم عن الزمخشري ، وعقب عليه بقوله : أن آل محمد هم الذين يؤول أمرهم إليه ، فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل ، ومضى يقول ولا شك بأن فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله من أشد التعلقات وهو معلوم بالنقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل لا غيرهم .

وأورد في مجمع الزوائد للهيثمي وكنوز الحقائق للمناوي وذخائر العقبى للمحب الطبري ، ونور الأبصار للشبلنجي بعض المرويات عن النبي (ص)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حول هذا الموضوع وكلها تلتقي في مضمونها مع رواية الزمخشري التي رواها في الكشاف وهو يفسر آية القربى[1].

وبلا شك فإن رواية الزمخشري التي وضعت محبي آل بيت محمد بتلك المنزلة العالية وحرمت على مبغضيهم الجنة وحرمتهم من رحمة الله على تقدير صحتها إنما تعني المحبين الذين يسيرون على خط آل محمد ويعملون بكل ما أمر الله وما نهى عنه ، أما الموالون والمتشيعون الذين لا يعملون ولا يتابعون آل محمد كما هو الحال في أكثر مدعي الولاء لهم فهم كغيرهم من الناس إن عذبهم الله فبعدله، وإن أدخلهم الجنة فبعفوه وكرمه ، وليس بكثير على محبيهم العاملين أن ينالوا تلك الدرجات الرفيعة إذا انتهى بهم الولاء إلى متابعة آل محمد فيما قالوا وفعلوا ولا بكثير على مبغضيهم الذين يتبعون أعداءهم ويتنكرون لتعاليمهم التي لا تنفصل عن تعاليم القرآن وسنّة الرسول ليس بكثير عليهم إذا كانوا في أسفل درك الجحيم مع المنافقين والكافرين .

---

(١) انظر فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٧٨ و ٧٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفهرست

كلمة صديق المؤلف (١) ..... أ
كلمة رفيق الدراسة (٢) ..... ز
في هذا الكتاب ٣
المقدمة ٥
تمهيد ١١
الأئمة اثنا عشر كلهم من قريش ٣١
الصحابية الاولى خديجة بنت خويلد ٣٩
اولادها من النبي (ص) ٥٤
فاطمة الزهراء ٦٣
هجرتها الى المدينة ٧٤
حديث زواجها من علي (ع) ٧٩
هل فكر علي في الزواج من غيرها ؟ ٩١
مصحف فاطمة ٩٦
الزهراء في فتح مكة ١٠٠
الزهراء مع ابيها في مرضه ١٠٦
موقفها من الخلافة والميراث ١١٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حديث فدك ١١٧
خطبة الزهراء في المسجد ١٢٣
مرض الزهراء ١٣٤
الامام علي بن ابي طالب **١٣٩**
صفاته ١٤٦
اسلام علي (ع) ١٤٧
النص عليه في بداية الدعوة يوم الدار ١٥٤
علي في شعب ابي طالب ١٦٠
مبيته على فراش الرسول ليلة الهجرة ١٦٤
علي والفواطم في طريقهم الى المدينة ١٧١
حديث المؤاخاة ١٧٤
علي ابو تراب ١٧٨
علي في بدر الكبرى ١٨١
علي حامل اللواء ١٩٢
علي في معركة أحد ١٩٥
علي في غزوة الاحزاب ٢٠٧
علي في الحديبية ٢١٦
علي في خيبر ٢٢١
دور علي في فتح مكة ٢٢٨
مع بني جذيمة ٢٣١
علي في حنين ٢٣٣
علي وغزوة تبوك ٢٣٧
غزوة ذات السلاسل ٢٤٠
سورة براءة ٢٤٣
علي في حجة الوداع ٢٤٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مع النبي في ساعة الوداع ٢٥٢
السقيفة ٢٥٩
علي بعد البيعة ٢٧٤
شجاعته ٢٩٥
زهده في الدنيا ٣٠٠
علي وبيت المال ٣٠٨
الإمام علي مع الخلفاء الثلاثة ٣٢٠
علي في عهد عمر بن الخطاب ٣٣٢
وفاة عمر بن الخطاب ٣٤٣
الشورى ٣٤٩
ما أفرزته الشورى ٣٥٦
موقف ابي ذر الغفاري من عثمان وحاشيته ٣٧٥
الثورة على عثمان ونهاية امره ٣٨١
علي (ع) والخلافة ٣٩٠
موكب عائشة في طريقها الى البصرة وما جرى فيها من أحداث ٤٠٣
علي (ع) في طريقه الى الكوفة ٤٢٠
معركة صفين وما رافقها من أحداث ٤٢٧
المارقون ٤٤١
المؤامرة الكبرى ٤٥٢
الإمام الحسن بن علي (ع) ٤٥٩
تواضعه وكرمه ٤٦٦
الحسن بعد وفاة جده وأمه ٤٧٦
الحسن مع مؤذن النبي بلال ٤٧٨
الحسن في عهد الخلفاء الثلاثة ٤٨٠
مع الدكتور طه حسين في تفسيره لموقف الحسن من ابيه ٤٨٧

الحسن بعد وفاة ابيه ٥٠٠
الاستعداد للحرب ٥١١
معاوية بين الصلح والقتال ٥١٦
بنود الصلح كما يرويها المؤرخون ٥٢٤
ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين ٥٢٧
في النخيلة ٥٣١
ما حدث بعد الصلح ٥٣٥
موقف المستشرقين من صلح الإمام الحسن (ع) ٥٤١
معاوية وشروط الصلح ٥٤٥
زوجات الحسن (ع) ٥٥٤
اولاد الحسن ٥٥٩
وفاة الإمام الحسن (ع) ٥٦٢

Digitization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)